النبع الصافي

تأليف

الدكتور محمد السعدي فرهود

الطبعة الأولى

١٤٠٠هـ — ١٩٨٠م

دار الطباعة المحمدية

٣ درب الأتراك بالأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين المرسلين : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، وعلى آله وصحبه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فأقدم لأبنائى طلاب كلية اللغة العربية فى اسيوط هذا المصنف ، الذى اخترت فيه مجموعة من النصوص فى الأعصر الثلاثة :

- العصر العباسى الثانى (حسب القسمه الثنائية) .
- عصر الأندلس الشهيد .
- العصر الإسلامى الوسيط .

وأرجو من الله النفع والفائدة والسداد ،لى ، ولهم، ولكل من اهتدى بهدى الله ، وعمل على حفظ لغة القرآن المجيد .

ذو القعدة ١٤٠٠ هـ

سبتمبر ١٨٠٠ م

محمد السعدى فرهود

بطولة عربية للمتنبي

الشاعر :

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي ، ولد ونشأ بالكوفة ، وارتحل إلى دمشق وبغداد فى سبيل المجد الأدبي والشهرة ، واستقر به المقام مدة طويلة فى « حلب » منقطعا إلى سيف الدولة الحمدانى من سنة ٣٣٧ هـ إلى سنة ٣٤٥ هـ ؛ يمدحه ، ويشهد وقائعه مع الروم الذين كانوا يغيرون على أطراف الدولة الإسلامية ، ويصف هذه الوقائع ، ويتحدث عما كان يبديه سيف الدولة من بطولة عربية ، فى قصائد تعتبر من غرر قصائده وعيون شعره ، وهى أشعار شغلت نحوا من ثلث ديوان المتنبي .

وفى سبيل المجد الأدبي والشهرة وطلب الولاية رحل المتنبي إلى مصر فى عهد « كافور الإخشيدى » ، ولكنه لم يظفر من كافور بطائل ، وفر من مصر فى ليلة العيد وعاد إلى الشام والعراق ، وغادرهما إلى شيراز ، وفى طريقه إليها مر بشعب « بوان » فوصفه بقصيدته الرائعة :

مغانى الشعب طيباً فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

وفى أثناء عودته من شيراز خرج عليه بعض أعدائه فقتلك به قريبا من « دير العاقول » — فى أرض العراق — قبيل حلول عيد الفطر سنة ٣٥٤ هـ

وفى تلقيب الشاعر بالمتنبي عدة أقوال : أولها أنه ادعى النبوة بالبادية ورفع أمره إلى « لؤلؤ » والى حمص فأمر بسجنه حتى تاب ، والثانى أنه دعا الناس إلى بيعته بالولاية فاجتمع عليه كثير من الشبان والأحداث وجذبهم هو إليه بحسن بيانه وقوة عارضته فقبض عليه الوالى ولفق له تهمة دعوى النبوة ليتقبل الناس تصرفه معه ومعاملته السيئة له ، ولم يشأ أن يتهمه بالتمرد

السياسى لكيلا يعطى غيره فرصة التفكير فى الانقضاض على الدولة ، والقول الثالث أنه إنما لقب بالمتنبى لقوله فى بعض شعره :

* أنا فى أمة تداركها الله غريب كصالح فى ثمود *

وشعر المتنبى فى جملته رائع جيد ، استطاع أن يثبت به شخصيته الأدبية ، وأن يتصرف فى ألفاظه ومعانيه كما يريد ، وأن يخرج أكثره مخرج الأمثال أو الحكم التى نرى فيها أنفسنا ونرى الحياة من خلالها ، وقد أجاد فى كل غرض : فى المديح ، والهجاء ، والرثاء ، والحكمة ، والوصف ، والغزل ، والفخر ، والعتاب ، وغيرها من سائر الأغراض ، وبلغ المديح وحده نحوا من ثلثى شعره ، وكان هو المتنفس الأول للوصول إلى رغبته: المجد الأدبى والشهرة .

مناسبة القصيدة :

تفرغ سيف الدولة الحمدانى لحرب الروم الذين كانوا — كما ذكرنا — يغيرون على أطراف الدولة الإسلامية ، وقد غزاهم سيف الدولة أربعين غزوة .

وفى سنة ٣٤٣ هـ استولى الروم على ثغر « الحدث »(١) دون حرب ، وأوقعوا فيه الفتنة ، واضطروا كثيرا من المسلمين أن يتخلوا عن إسلامهم، وسار سيف الدولة إليهم ليسترد الثغر ، وقامت بين الروم والمسلمين وقعة عظيمة عند جبل « الأحيدب » قريبا من ثغر « الحدث » ، اشتدفيها الخطب حتى ساءت ظنون المسلمين بأنفسهم ، لولا شجاعة سيف الدولة وصبره ،

---

(١) وهذا الثغر فى أراضى « سورية » الآن . والثغر يطلق على كل موضع من مواضع المخافة من مداخل البلاد ، وليس شرطا أن يكون على بحر كالإسكندرية .

إذ حمل على صفوف الروم عدة حملات ، فقتل منهم خلقا كثيرا ، واضطر القائد الرومانى ـ الدمشق ـ إلى الهرب ، ووقع بعض أهله من كبار القواد فى أسر المسلمين . ثم أقام سيف الدولة زمنا ، يعيد بناء « الحدث ». وعندما اكتمل البناء نصب حفلا لذلك ، فأنشده الشعراء مدائحهم ، ومن هؤلاء الشعراء المتنبي مدحه بهذه القصيدة :

النص :

(ا) ذوو القدر والعزائم :

١ ـ على قدر أهل العزم تأتى العزائم ... وتأتى على قدر الكرام المكارم

٢ ـ وتعظم فى عين الصغير صغارها ... وتصغر فى عين العظيم العظائم

٣ ـ يكلف سيف الدولة الجيش همه ... وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

٤ ـ ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك مالا تدعيه الضراغم

٥ ـ يفدى أتم الطير عمراً سلاحه ... نسور الملا : أحداثها والقشاعم

٦ ـ وما ضرها خلق بغير مخالب ... وقد خلقت أسيافه والقوائم

المفردات :

العزم : الجد فى الأمر . يقال : عزم الرجل على الأمر (من باب ضرب) عزما وعزمانا وعزيما وعزيمة ، أى جد فيه ، ويقال : عزمت على الأمر واعتزمت عليه : أردت فعله ، ويقال : عزمت على الرجل بكذا : أقسمت عليه بكذا ، وأولو العزم من الرسل : الذين جدوا فى إبلاغ الرسالة وثبتوا وصبروا فى ذلك ، والعزائم : جمع عزيمة وهو العزم ، وتسمى الرقى عزائم ، وعزائم الله : فرائضه ، والكرام : جمع كريم وكريمة ، والمكارم : جمع مكرم ومكرمة (بضم رائهما) وهو فعل الكرم ، والكرم يقتضى النزاهة والعزازة وكل ما هو ضد اللؤم .

صغارها : الضمير يعود على العزائم والمكارم . « وأل » فى العظائم بديل من هذا الضمير .

يكلف : من التكليف ، وهو الأمر بما يشق . همه : هنا بمعنى همته . ويطلق الهم أيضا على الحزن وعلى ماهم به الرجل فى نفسه . الخضارم (بفتح الخاء وتخفيف الضاد) : جمع خضرم (بكسر فسكون فسكسر) وهو فى الأصل : الكثير العظيم من كل شىء ، ويسمى به الجواد المعطاء .

الضراغم : جمع ضرغم (مثال جعفر) وضرغام وضرغامة (بكسر أولهما) وهو الأسد ، ويطلق أيضا على الشجاع . ويقال : ضرغم الأبطال (لازما) وتضرعموا أى فعلوا فعل الضرغام وتشبهوا به .

يفدى ـ من التفدية ـ يقال : فداه تفدية أى قال له : جعلت فداك . وأتم الطير عمرا : أى أطولها عمرا وهو النسر . وأتم من التم والتمام (مثلثتين) . الملا (وزان العصا) : الصحراء . وقد يكون جمع ملاة ، والملاة هى الفلاة القفر ذات الحرارة . الأحداث : جمع حدث (وزان بطل) الصغير السن ، يقال : فلان حدث السن وحديثها أى فى أول عمره ، وتطلق الأحداث على الأمطار أول السنة ، كما تطلق على حوادث الدهر . القشاعم : جمع قشعم (وزان جعفر) المسن من النسور وهو المراد هنا ، ويسمى المسن من الرجال قشعما . ويقال للحرب وللمنية وللداهية : (أم قشعم) لطول نفسها .

ماضرها : ما ـ نافية أو استفهامية للنفى . خلق : الخلق فى الأصل مصدر خلق وهو بمعنى قدر أوصنع أوأبدع ، والإبداع هو الاختراع على غير مثال سابق . مخالب : جمع مخلب كمنجل وزنا ومعنى ، ويطلق على ظفر السباع والطير الجارح . القوائم : جمع قائمة وهى هنا مقبض السيف . ويسمى أيضاً القائم .

فى هذا المطلع : تقدمة عن أقدار الناس ، ومايكافئها من عزائم ومكارم ، فذوو الهمم العوالى والعزائم المواضى — أمثال سيف الدولة — تصغر فى

أعينهم كبار الأمور وعظائمها ، لأن طموحهم متسع الآفاق ، بعيد الآماد ، يهون معه كل صعب ، وتلذ كل مخاطرة ، وذوو الصغار ضعاف الهمم ، ولذا تكبر فى أعينهم توافه الأمور وصغارها ، لأن آمالهم لا تمتد بهم إلى أكثر من مكانهم . وهذا سيف الدولة ، بطل الأمة المغوار يكلف جيشه العظيم ماتعجز عنه الجيوش الكثر ، يكلفه أن يغير ، ويغزو ، ويفتح البلاد ، ليحقق ما تطمح إليه همته . وليحافظ على مجد الدولة الإسلامية ، ويصون أطرافها ، ويحمى حدودها ، وهو — لما ركب فى طبعه من إيثار — يطلب أن يكون الناس نظائره فى الإقدام والبأس ، وذلك أمر يندر أن يخطر فى بال الشجعان الصناديد ، ولقد بلغ سيف الدولة وجيشه من الشجاعة والبسالة حداً يجعل أحداث النسور وقشاعمها تفدى سلاحه ؛ لأنه يكفيها المؤنة . فما يضرها أن تخلق — أو لو خلقت — بغير مخالب ، فقد ضمن سلاح الجيش رزقها رغداً ، حيثما حل .

(ب) الحدث الحمراء :

٧ — هل « الحدث » الحمراء تعرف لونها
وتعرف أى الساقيين الغمائم ؟

٨ — سقتها الغمام الغر قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجماجم

٩ — بناها فأعلى والقنا تقرع القنا وموج المنايا حولها متلاطم

١٠ — وكان بها مثل الجنون فأصبحت
ومن جثث القتلى عليها تمائم

١١ — طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين بالخطى والدهر راغم

المفردات

الحدث : هو الثغر الذى اقتتل عليه سيف الدولة والرومان . الغمائم : جمع غمامة مثال سحابة وزناً ومعنى ، أو الغمامة هى السحابة البيضاء .

الغر (بالضم) : جمع قياسى لأغر وغراء ؛ وتوصف بها الغمام اذا كانت شديدة المطر أو بيضا ، ويكون بياضها من البرق الصادر عنها ، ولا يكون من تراكمها وتزاحمها ، الجماجم : جمع جمجمة (بضم الأول والثالث) وهى العظم فيه الدماغ ، وتسمى أيضا القحف .

القنا : جمع قناة وهى الرمح . المنايا : جمع منية .. فعيلة من المنى ـ كلاهما بمعنى الموت . متلاطم : من المجاز أن تقول : تلاطمت الأمواج والتطمت إذا ضرب بعضها بعضا . وأصل المادة (اللطم) . وهو الضرب على الوجه أو الخد بالكف مبسوطة ، وهو يقتضى الاضطراب .

التمائم : جمع تميمة ، ويطلقها العرب على العوذة يتوقون بها مس الجن ، وكانوا يصنعونها من خرزة رقطاء (سوداء بيضاء) ينظمونها فى سلك يعقد فى العنق .

طريدة : فعيلة بمعنى مفعولة : ماطردته من صيد أو غيره ، وتقول : طردته أى نفيته عنى . الخطى : الخط مرفأ السفن فى (البحرين) ، وكان سوقا مشهورة لبيع الرماح فنسبت إليها . راغم : من الرغم وهو الكره والقسر والذل والتراب ، ويقال فى المجاز : رغم أنفه ، وأنفه راغم ، إذا ذل ، كأنه ألصق بالرغم أو الرغام أى التراب .

هذا حديث عن « الحدث » التى جاءها سيف الدولة فى أوان المطر ، وكانت السحائب البيض ذوات البرق قد أمطرتها ، قبل نزول سيف الدولة ، فلما دهمها أعمل جيشه فى الروم قتلا وسفكا وذبحا ، فسالت دماؤهم فى ربوعها فما تدرى لاضطرابها بأى اللونين سقيت . وشمر سيف الدولة فى الحال عن ساعد العمل ، فأخذ يبنيها ، والقتال قائم ، وموج المنايا حول « الحدث » متلاطم ، وكان الروم قد أشعلوا فيها نار الفتنة ، وأرادوا أن يصرفوا أهلها عن دينهم ، وأشاعوا فيها الخراب والهدم ، قبل مقدم سيف الدولة ، فلما

أسال جيشه دماءهم ، ونشر فى أنحائها جثث قتلاهم ، سكنت « الحدث » وكانت هذه الجثث بمثابة التمائم ، أسهمت فى سكون الفتنة ، وساعدت فى عودة المدينة إلى حظيرة الإسلام ، بقوة السلاح ، على الرغم من الدهر

(ح) قدرة نافذة :

١٢- تفيت الليالى كل شىء أخذته ‏ ‏ وهن لما يأخذن منك غوارم

١٣- إذا كان ماتنويه «فعلا مضارعا» ‏ ‏ «مضى» قبل أن تلقى عليه «الجوازم»

المفردات :

تفيت : مضارع أفات وفاعله ضمير سيف الدولة وهو متعد لمفعولين يقال : فاته الأمر أى ذهب عنه ، وأفاته إياه غيره أى أذهبه عنـــه ، والمفعولان فى البيت هما الليالى وكل شىء . وغوارم : جمع قياسى لغارمة ـ فاعلة من الغرم والغرامة ـ وهو مايلزم أداؤه . وغالباً مايستعمل فى أداء الديون ، ويقال : فلان مغرم أى مثقل بالدين ، وفلان عليه غرم ومغرم أى عليه دين ثقيل .

فى هذين البيتين يحيى الشاعر سيف الدولة ، بذكر مقدرته على عصيان الأمر أمام الليالى ، فسيف الدولة أقدر عليها ، فهو يسلبها ، وهى لاتستطيع أن تسلبه ، وهو يبدد كل شىء يأخذه منها ، وهى دائما تدين لقدرته وفضله فتغرم مايدينها به ، وقد بلغ من مقدرة سيف الدولة أنه إذا نوى شيئا أنفذه وأنجزه وعجل به ، قبل أن تحول القيود دون إنفاذه ، أو تعترض سبيل إنجازه

وجاءت هذه التحية أشبه بالجملة الاعتراضية . وسط الحديث عن « الحدث » . ولكنها تتصل بوجدان الشاعر ، فلا تبدد الوحدة الشعورية .

(د) فتنة الحدث :

١٤ - وكيف يرجى الروم والروس هدمها
وذا الطعن آساس لها ودعائم

١٥ - وقد حاكموها والمنايا حواكم فما مات مظلوم ، ولا عاش ظالم

١٦ - أتوك يجرون الحديد كأنهم سروا بجياد مالهن قوائم

١٧ - إذا برقوا لم تعرف البيض منهم
ثيابهمو من مثلها والعمائم

١٨ - خميس بشرق الأرض والغرب زحفه
وفي أذن الجوزاء منه زمازم

١٩ - تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

المفردات :

آساس: وزان أفعال جمع أس (مثلثة) وأسس (مثال بطل) وأساس، وهو أصل البناء وأصل كل شيء ، دعائم : جمع دعامة ودعام (بكسر الاول) وهو في الأصل السناد الذي يستمسك به البيت كي لا يميل ، ومن المجاز : هو دعامة قومه ، لسيدهم وسندهم ، قال الأعشى : (كلا أبوينا كان فرعا دعامة) ، وأقمت دعائم الإسلام ، وهذا من دعائم الأمور أي مما تتماسك به ، ودعمت فلانا (ثلاثيا) أعنته وقويته ، وفلان ذودعم أي ذو قوة .

حاكموها : يقال : حاكمت فلانا إلى الحاكم دعوته إليه وخاصمته ، وحاكمته إلى الله أو إلى القرآن دعوته إلى حكمه ، ومثل هذا : حاكمته إلى القانون ، والمنايا حواكم : جمع حاكمة ، اسم الفاعلة من حكم ، والحكم القضاء ، والحاكم القاضي ومنفذ الحكم .

سروا : من السرى وهو سير الليل ، ويقال في فعله : سرى وأسرى

واسترى . جياد : جمع جواد وهو الفرس ، وهو فى أصله وصف له فسمى به لأنه يطلب جيدا رائعا فى شكله وعدوه ، قوائم : قوائم الدابة أرجلها ، والواحدة قائمة .

برقوا : برقت السماء (من باب قعد) بروقا وبرقانا أى لمعت ، ومنه البرق ، وبرق الشىء برقا وبريقا وبرقانا أى لمع ، وبرق النجم أى طلع ، ومن المجاز : برقت المرأة وأبرقت تحسنت وازينت . (ومن باب قعد وفرح) : بمعنى تحير حتى لايطرف ، أودهش فلم يبصر .

البيض : هنا جمع أبيض وهو السيف وأصله وصف له . العمائم : جمع عمامة وهى ما يلف على الرأس والمغفر والبيضة (أى الخوذة — وهى من الحديد) .

خميس : الخميس الجيش ، وسمى خميسا لأنه خمس فرق : المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة . زحفه: مشيه ، والزحف المشى فيه ثقل وبطء. الجوزاء : أحد أبراج السماء ، وهى تتوسط السماء ، وتقع فيها الشمس فى أواخر الربيع . زمازم : أصوات مبهمة لا تفهم ، والرعد ذو زمازم ، قال الشاعر :

يهد بين السحر والغلاصم هدا كهد الرعد ذى الزمازم

والزمزمة الصوت البعيد له دوى ، وصوت الأسد ، وصوت النار ، وفى المثل (حول الصليان الزمزمة) ، والصليان نبات يجمع للخيل التى لا تفارق الحى مخافة الغارة ، فهى تزمزم حوله وتحمحم .

لسن : (بكسر فسكون) ، واللسن اللغة والكلام واللسان . والأمة (بالضم) من معانيها الجنس ، والجيل من كل حى (كالأم) والإمام ، والرجل الجامع للخير ، وقوم الرجل . والحداث : جمع قياسى لحادث بمعنى

متحدث ، وفى أساس البلاغة : قال قيس :

أتيت مع الحداث ليلى فلم أبن　　　فأخليت فاستعجمت عند خلائيا

والتراجم : جمع ترجمان (بضم التاء والجيم أو فتحهما أو فتح فضم وهذه أجود) وهو المفسر للكلام واللغة . واتفق اللغويون على أصالة الميم فى (ترجم) واختلفوا فى اعتبار التاء أصلية أو زائدة — راجع مادة (ترجم) فى القاموس المحيط ، ومادة (رجم) فى الصحاح وفى التهذيب .

فى هذه الأبيات عودة إلى « الحدث » بالإنكار على الروم — ومن إليهم من أجناس الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) كالروس والألبان والصقالبة وغيرهم — أن يؤملوا هدم « الحدث » ، بينما غارة سيف الدولة، وما أعمله فيهم من ضرب وطعان ، دعامات تردها إلى الإسلام ، بعد أن كادت تعصف بها فتنتهم ، وكان قد بان من أحوال الروم ومن إليهم أنهم أرادوا تخريب « الحدث » ، ليقطعوا على المسلمين أمل العودة إليها ، فكأنما كانت خصيا يحاكمونه إلى المنايا ، فقضت المنايا للحدث المظلومة بأن تعيش ، وعلى هؤلاء الظلمة أن يلقوا جزاء ظلمهم ؛ وهو المصير الذى أرادوه للحدث ولأهلها .

وقد كان جيش الروم ، ذو الفرق الخمس ، كثيفا ، ذا عتاد ضخم ، وعدد كثير ، من كل جنس .

(ه) الموقعة :

٢٠ - فلله وقت ذوب الغش ناره　　　فلم يبق إلا صارم أو ضبارم

٢١ - تقطع مالا يقطع الدرع والقنا　　　وفر من الأبطال من لا يصادم

٢٢ - وقفت وما الموت شك لواقف
كأنك فى جفن الردى وهو نائم

٢٣ - تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح ثغرك باسم

٢٤ - تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
إلى قول قوم : أنت بالغيب عــالم

٢٥ - ضممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافى تحتها والقوادم

٢٦ - بضرب أتى الهامات والنصر غائب
وصـــار إلى اللبات والنصر قادم

٢٧ - حقرت الردينيات حتى طرحتها
وحتى كأن السيف للرمح شــاتم

٢٨ - ومن طلب الفتح الجليل فإنما
مفاتيحه البيض الخفـــاف الصوارم

٢٩ - نثرتهم فوق «الأحيدب» نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

٣٠ - تدوس بك الخيل الوكور على الذرا
وقد كثرت حــول الوكور المطاعم

٣١ - نظن فراخ الفتخ أنك زرتها بأماتها وهى العتاق الصلادم

٣٢ - إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى فى الصعيد الأراقــم

المفردات :

ذوب : يقال : ذوبه وأذابه جعله يذوب أى يسيل ، والذوبان السيولة وهى ضد الجمود .

الغش (بالكسر) فى الأصل الغل والحقد والاسم من غش بمعنى أظهر له خلاف ما يضمر أولم يمحضه النصح ، وبالضم : الرجل الغاش. صارم : سيف قاطع ، ويطلق على المــاضى الشجاع والجمع صوارم (وستأتى) . ضبارم (بضم ففتح) : الرجل الجرىء على الأعداء ، والأسد.

روى (تقطع) ففاعله « ما » وروى (فقطع) ففاعله ضمير الوقت .
الدرع : من الحديد (مؤنثة ومذكرا) : القميص من الحديد ينسج حلقا

حلقا ويلبسه المحارب . يصادم : يدافع . وثلاثيه (صدم) من باب ضرب . ويقال : صدمه وصادمه أى دفعه ، واصطدما وتصادما أى تدافعا .

الردى (مفردا) : الهلاك — وهو المقصود هنا . وجمعا : مفرده الرداة وهى الصخرة .

كلمى : جمع قياسى مفرده كليم مثل جرحى وجريح معنى وقياسا . هزيمة فعيلة بمعنى مفعولة ، وحق التاء الإسقاط ، والهزيمة الاسم من هزم الجيش العدو فهو هازم أى كسرهم . وضاح : مبالغة من الوضوح ، والوضاح الأبيض اللون والنهار والرجل الحسن البسام، ومن المجاز : له النسب الوضاح . ثغرك : يطلق الثغر على الفم أو الأسنان أو مقدمها وهو المراد هنا ، كما يطلق على موضع المخافة من مداخل البلاد وعلى ما يلى دار الحرب . باسم : فاعل من بسم ، والبسم أقل الضحك وأحسنه كالابتسام والتبسم ، ويسمى الثغر مبسما .

تجاوزت : تجاوز المكان وجاوزه وجازه وأجازه بمعنى قطعه ، وتجاوز الشيء وجاوزه تعداه . الشجاعة : صفة الشجاع وهو الشديد القلب عند البأس . النهى (مفردا) : العقل ، ويكون أيضا جمعا لنهية (بالضم) وهى العقل الغيب : فى الأصل كل ما غاب عنك .

الجناحان : ميمنة الجيش وميسرته ، والقلب : فرقته المتوسطة . الخوافى : ريشات تخفى إذا ضم الطائر جناحيه وواحدتها خافية ، القوادم : ريشات فى مقدم الجناح وواحدتها قادمة .

الهامات (وكذلك الهام) : جمع هامة وهى فى الأصل الرأس ورأس كل شيء ورئيس القوم ، ومن معانيها : الطائر المسمى « الصدى » وهو من طير الليل . اللبات : جمع لبة وهى المنحر وموضع القلادة من الصدر ، ومن معانى اللبة : المرأة اللطيفة .

الردينيات : الرماح الردينيات منسوبة إلى امرأة تسمى (ردينة) كانت تصنعها هى وزوجها .

طرحتها : طرح الشيء رماه وأبعده ، ومثله طرّحه واطرحه .

الجليل : العظيم ، والكبير . ويسمى المسن جليلا . الخفاف : نعت للبيض ، وهى السيوف ، وهى جمع خفيف قياساً ، والسيف خفيف فى يد السياف .

نثرتهم : نثر الشيء (من باب كتب وضرب) نثرا ونثارا أى رماه متفرقا، ومن باب جلس بمعنى عطس ، ويكون للدواب خاصة ، الأحيدب : جبل فى منطقة المعركة .

تدوس : داس فلان الأرض دوسا إذا شدد وطأه عليها بقدمه . الخيل: جماعة الأفراس ، ويسمى الفرس خائلا لأنه يختال وحينئذ يجمع على أخيال وخيول . الوكور : جمع وكر وهو عش الطائر وإن لم يكن فيه . الذرا : جمع ذروة (بالضم أو بالكسر) ، وذروة كل شيء أعلاه ، ومن المجاز : بلغ فلان الذرا أى أعالى النسب والشرف ، وفلان منيع الذرا شريف لا يطال فهو ممن يحتمى به . وأقبلت ذرا الليل أى أوائله . المطاعم : جمع مطعم اسم مكان أو مصدر طعمه (وزان سمعه) طعما وطعاما أى أكله .

فراخ: جمع فرخ ، وهو ولد الطائر ، ويطلق على كل صغير من الحيوان أو النبات . كما يطلق على الرجل الذليل المطرود لضعفه وعجزه ، وعلى الزرع المتهيء للتفتح ، وعلى مقدم الدماغ. الفتخ ، جمع فتخاء ، وهى العقاب اللينة الجناح . أماتها : أمهاتها . يقال للأم : الأمة والأمهة والجمع أمات وأمهات . وقد قيل : إن أمهات هى الأصل ، ومن رأى « ابن جنى » أن الهاء زائدة والأصل عنده أمات . والعتاق : من الخيل النجائب ومن الطير الجوارح

وواحدها عتيق ، الصلادم : جمع صلدم (بكسر فسكون فكسر) وهو الصلب والشديد الحافر ، ويطلق أيضا على الأسد .

زلقت : يقال زلقت القدم (من باب تعب) لم تثبت حتى سقطت . مشيتها: يقال مشى يمشى مشيا ومشى تمشية وتمشى تمشيا بمعنى مر . الصعيد : وجه الأرض ترابا كان أو غيره ، ويطلق على التراب — ومنـــه قوله تعالى : «فتيمموا صعيدا طيبا» — كما يطلق على القبر . الأراقم : جمع أرقم وهو أخبث الحيات وأطلبها للناس أو مافيه سواد وبياض منها أو هو ذكر الحيات (وتسمى الأنثى رقشاء) ؛ ويقال فى التشبيه : كأنه أرقم يتلمظ .

فى هذه الأبيات: يقول المتنبى : إن المعركة نفسها كانت مناط الاختبار، فأفنت السلاح والناس، ولم يثبت ويبق إلا كل سيف صارم بتار، يقطع الدروع والرماح ؛ وكل رجل شجاع ضبارم ، بينما يقف سيف الدولة فى حلبة الوغى محاربا باسلا ، وقفة لا يهاب فيها الردى ، ولا يبالى . يشهد فى سرور هزيمة أعدائه ، وهم يلعقون جراحهم ، بل إنه ليجاوز هذه الجرأة وهذا الثبات إلى ما قيل : إنه — أى سيف الدولة — مطلع على الغيب . عالم بنتيجة المعركة التى يخوضها .

ولقد كان من بطولة الممدوح أن ضم جناحى جيش عدوه على قلبه ، فى سرعة خاطفة ، وعدته فى ذلك السيوف الخفاف الصوارم ، عـدة من يطلب الفتح الجليـل ، فأطاح برءوسهم ، وفرق أشلاءهم - فوق جبل « الأحيدب » ، قريبا من « الحـدث » - مطعما للطير الجائع ، وساق خيله فوق الجبال كل مساق .

(د) المهزوم الغانم :

٣٣ — أفى كل يوم ذا «الدمستق» مقدم
قفاه على الإقدام للوجـــه لائم

٣٤ — أينكر ريح الليث حتى يذوقه
وقد عرفت ريح الليوث البهائم

٣٥ — وقد فجعته بابنه ، وابن صهره
وبالصهر : حملات الأمير الغواشم

٣٦ — مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبا
بما شغلتها هامهم والمعاصم

٣٧ — ويفهم صوت المشرفية فيهمو
على أن أصوات السيوف أعاجم

٣٨ — يسر بما أعطاك لا عن جهالة
ولكن مغنوماً نجا منك غانم

المفردات :

الدمستق قائد جيش الروم واسمه : « فردس » — انظر يتيمة الدهر للثعالبى ١ /٢٨ — مقدم : اسم الفاعل من أقدم ، تقول : أقدم على الأمر وأقدم فى الحرب أى شجع . لائم : اسم الفاعل من لام لوما وملاما وملامة ، واللوم العذل .

ريح : هنا بمعنى الرائحة ، ومن معانى الريح الهواء بين السماء والأرض ، والغلبة ، والرحمة ، ومن المجاز : ذهبت ريحهم أى دولتهم ، والريح مؤنثة والياء قلب عن الواو بدليل تصغيرها على (رويحة) ، وقد تذكر على معنى الهواء ، وقال ابن الأنبارى : الريح مؤنثة وكذلك سائر أسمائها ما عدا الإعصار فإنه مذكر . الليث : الأسد ويطلق أيضا على اللسن البليغ وعلى ضرب من العناكب يصيد الذباب .

يذوقه : يختبر طعمه . ومن المجاز : ماذاق غمضا / ماذاق نوما / ذاق طعم الفراق / ذاق القوس تعرفها مختبرا لينها من شدتها / ذاقت كفى فلانة

أى مستها . البهائم : جمع بهيمة وهى كل ذات أربع قوائم على الأرض أو فى الماء ، أو كل حى لايميز .

فجعته : فجعه (كمنعه) أوجعه . أوالفجع أن يوجع الإنسان بمايعز عليه أو يرزأ فيه : الصهر (بالكسر) : القرابة ، ويسمى صهراً زوج بنت الرجل وزوج أخته وكل الأختان ، ويقال : صاهرهم وفيهم وإليهم وأصهر بهم وإليهم أى صار فيهم صهراً ، حملات : جمع حملة وهى الكرة فى الحرب ، وأسكن عين الجمع لإقامة الوزن . الأمير : صاحب الأمر ووليه ، صفة من أمر (من باب قعد) . الغواشم : جمع قياسى لغاشمة ، والغاشمة الحرب كالغشوم من باب المجاز : وأصل غشم بمعنى ظلم .

فوته : مصدر فات . يقال : فاته الأمر فوتاً ، وفواتاً ، ذهب عنه . وفاته سبقه ، وفاته بكذا سبقه به ، وهوفوت رمحه ، وفوت يده أى بحيث يراه ولا يصل إليه ، الظبا (واوى) : جمع ظبة (مثال ثبة) : حد السيف ، أو السنان ونحوه ، المعاصم : جمع معصم وهو اليد وموضع السوار .

المشرفية : صفة للسيوف . وفى القاموس المحيط : مشارف الشأم قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، ومنها السيوف المشرفية ، بفتح الراء ، وفى غيره : أن السيوف المشرفية نسبة إلى موضع فى اليمن ، وفى رأينا أن صاحب القاموس المحيط لم يخطىء ، فقد أقام فى اليمن نحواً من عشرين عاماً . أعاجم : جمع أعجم وهو عندالعرب غيرهم ، ومن لا يفصح كالأعجمى ، والأخرس .

فى هذه الأبيات : ينحو الشاعر على «الدمستق» قائد جيش الروم ويذكر النحس الذى يلازمه فى معاركه أمام سيف الدولة ، ويتهكم به ، ويسخر

منه ، وقد ذاق مرارة الهزيمة ، وفجع فى ابنه وصهره ، إذ يجعله شاكرا ما أنعم به أصحابه عليه ، حين دافعوا دونه ، وشغلوا جيش سيف الدولة عنه ، وقدموا رءوسهم وأياديهم وغـــيرها غنائم لجيش المسلمين ، وغنم « الدمستق » بنجاته بروحه .

(ه) حرب مقدسة :

٣٩ — ولست مليكا هازماً لنظيره
ولكنك التوحيد للشرك هازم

٤٠ — تشرف: «عدنان» به لا «ربيعة»
وتفتخر الدنيـــا به لا العواصم

٤١ — لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه
فإنك معطيــه وإنى ناظم

٤٢ — وإنى لتعدو بى عطاياك فى الوغى
فلا أنا مذموم ولا أنت نادم

٤٣ — على كل طيار إليها برجله
إذا وقعت فى مسمعيه الغماغم

٤٤ — ألا أيها السيف الذى لست مغمداً
ولا فيك مرتاب ولا منك عاصم

٤٥ — هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلا
وراجيك والإسلام أنك سالم

٤٦ — ولم لا يقى الرحمن حديك ما وقى
وتفليقه هام العـــدا بك دائم ؟

المفردات :

نظير : مثيل وشبيه ، وناظره صار نظيراً له ، وناظره بغيره جعله نظيره.
التوحيد : يقصد به (الإسلام) ، والإسلام دين التوحيد ، الشرك : يقصد به (الكفر) .

تشرف : مضارع أصله تتشرف ، وحذف تاء المضارعة كثير ؛ من تشرف بالشيء بمعنى شرف به أى فخر به وفضل . عدنان : أبو معد الجد الأعلى لقريش . ربيعة : هو ابن نزار بن معد بن عدنان ، وإلى ربيعة ينتسب سيف الدولة . تفتخر : من الافتخار وهو التمدح بالخصال كالفخر. الدنيا : فعلى من دنا وهى نقيض الآخرة ، غير مصروفة وإذا نكرت جاز صرفها .

العواصم : جمع عاصمة وهى المدينة . والعواصم فى البيت قلاع وحصون من أعمال حلب حيث إمارة سيف الدولة .

الحمد : الشكر والثناء والرضا والجزاء وقضاء الحق . وقد يقال : إن الحمد غير الشكر ؛ فالحمد يقتضى تعظيم الممدوح وخضوع المادح ويكون فى مقابلة الإحسان ، والشكر لا يكون إلا فى مقابلة الصنيع .

الدر : جمع درة وهى اللؤلؤة العظيمة ، وهنا يشبه بها الشعر ، وقد يكون الدر مفردا بمعنى النفس .

تعدو : من العدو وهو المشى قريبا من الهرولة ودون الجرى فهو يستدعى الإسراع ، وهذا بيان من شرح تعدو بمعنى تسرع. عطاياك: العطايا جمع عطية وهى ما تعطيه ؛ فعيلة من العطا والعطاء وهو النوال السمح . الوغى (وزان الفتى) : الجلبة والأصوات ، ومنه وغى الحرب . وقال ابن جنى :

الوعى (بالمهملة) الصوت والجلبة ، و (بالمعجمة) الحرب نفسها . نادم : اسم الفاعل من ندم بمعنى أسف وحزن أو فعل شيئاً ثم كرهه فهو نادم وندمان .

طيار : مبالغة فى الطائر ، ويقصد به الفرس السريع الجرى . ويقال : فرس طيار : ماض حديد الفؤاد . مسمعيه : مثنى مسمع (وزان منبر) ، وللانسان مسمعان كل منهما من أذن . الغماغم : جمع غمغمة وهى أصوات الأبطال عند القتال ، وأصوات الثورة عند الذعر ، والكلام الذى لا يبين .

مغمد : الغمد (بالكسر) جفن السيف ، وسيف مغمد ومغمود موضوع فى غمده أو مجعول له غمد .

مرتاب : اسم فاعل من ارتاب بمعنى شك ، وارتاب به اتهمه ، والاسم الريبة . عاصم : اسم فاعل من عصم بمعنى منع ووقى .

هنيئا : أصل الهنىء ما أتاك يسيراً بلا مشقة ولا عناء ، وطعام هنىء : سائغ ولذيذ . المجد : العز والشرف وصاحبه ماجد ومجيد . العلا (بالضم) جمع عليا مثل كبرى وكبر . والعليا فى الأصل خلاف السفلى ، والعلاء (كسماء) الرفعة . راجيك : الذى يرجوك ، اسم الفاعل من الرجاء وهو التأميل والإرادة وضد اليأس . سالم : اسم فاعل من السلامة وهى فى الأصل البراءة من العيوب .

لم ؟ : استفهام ، والميم ساكنة للوزن . وقى يقى : حفظ وصان ــ فعل متعد من باب ضرب . تقليقه : من القلق وهو الاضطراب والانزعاج . العدا (كإلى) : المتباعدون والغرباء كالأعداء ، والواحد (عدو) ، ويستعمل العدو للواحد والجمع والذكر والأنثى ، وقيل يثنى ويجمع ويؤنث . دائم :

اسم فاعل من الدوام بمعنى الثبات ، وهو يتطلب الاستمرار والبقاء وعدم الانقطاع .

فى ختام القصيدة مدح وتهنئة لسيف الدولة ، وفى هذا يذكر الشاعر عدة أمور :

(ا) انتصار سيف الدولة لدين الإسلام ، وهزمه للكفر .

(ب) انتصاره يعد انتصارا يشرف العرب كلهم ، وتفخر به الدنيا كلها .

(حـ) فضله على الشاعر بما يأتى من عظائم الأمور ، تكون مددا لمعانى شعره .

(د) جوده وكرمه ، بما يمنح من عطايا وهبات ، لا يفتأ يمنحها حتى فى ساعات الشدة التى قد تنسى الكريم كرمه .

(هـ) تهنئة لسيف الدولة المسلول الماضى اليقظ بسلامته ، وتهنئة للنصر والمجد والعلا والإسلام ومن يرجوه بهذه السلامة .

(و) دعاء وابتهال إلى الله أن يقى سيف الدولة ويصونه دائما ، بمقدار ما ينتصر للإسلام ، ويقلق أعداءه .

الجو العام للنص :

عندما انقطع المتنبى لسيف الدولة الحمدانى ، من سنة ٣٣٧هـ إلى سنة ٣٤٥هـ ، كانت عطاياه داعية لاسترسال المتنبى فى مديحه ، وكان سيف الدولة قد تفرغ لحرب الروم ، حتى يقال : إنه غزاهم أربعين غزوة ، انتصر فيها إلا فى قليل منها .

وكان يصحبه شاعره المتنبى ، وقد عرفناه فارسا شجاعا ، فكان فى شهوده المعارك ، واشتراكه فى الوقائع ، ورؤيته أميره وصاحب نعمته محاربا مغامرا ، إفراغ لشاعريته ، ومدد لموضوع المديح .

وهذا النص واحد من السيفيات - أى أشعار المتنبى فى سيف الدولة - التى شغلت نحواً من ثلث ديوان المتنبى . ومناسبتها : أن سيف الدولة سار إلى ثغر « الحدث » فى بلاد الروم ، لاسترداده من « الدمستق » قائد جيش الروم الذى استولى على الثغر دون حرب ، وأوقع فيه الفتنة . وأراد أن يفتن أهله عن دينهم ، وقامت بين الروم والمسلمين وقعة عظيمة ، اشتد فيها الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، لولا شجاعة سيف الدولة وصبره ، مكنته من الحملة على صفوف الروم حملة مباغتة ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودفع « الدمستق » إلى الهرب ، وأسر سيف الدولة صهر « الدمستق » وابن بنته ، ثم أقام سيف الدولة زمنا ، يشرف على بناء « الحدث » ، وعند اكتمال البناء نصب حفلا لذلك ، أنشده فيه الشعراء مدائحهم ، وفى هذا اليوم أنشد المتنبى قصيدته ، يسجل فيها أحداث المعركة ، ويعلى - كعادته - من شأن ممدوحه ، وما أبداه من ضروب البسالة والنضال المقدس(١) .

أهم الصور :

أولا — يصور الشاعر سيف الدولة فى أكثر من صورة :

يصوره كبير الهمة ، عالى القدر ، يطمح إلى مايكافئه قدرا ، فهو يلزم جيشه تحقيق أبعاد همته .

ويصوره بالغا الغاية من الشجاعة ، إذ يطلب أن يكون للناس مثل شجاعته . ويعقب على ذلك بأنه أمر لا تدعيه الضراغم - على الحقيقة أو التشبيه ، كما تريد .

ويصوره كذلك ، بضمانه رزق النسور والعقبان . وفيما يتصل بالنسور ينفى - أو ينكر - حاجة أحداثها وقشاعمها إلى المخالب ، وفى كليهما ضعف .

---

(١) انظر يتيمة الدهر للثعالبى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ١/٢٨ وما بعدها - ط . محمود توفيق ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .

وفيما يتصل بالعقبان يجعل الشاعر فراخها فرحة بزيارة الخيل، بحسبانها أماتها . فالفراخ تتلقى الخيل فى سرور وغبطة وبهجة .

ويصوره بطلا مقداما غير هيابة ، لايرهب الموت فى أنكر مواضعه . وفى هذا يتخيله مرة واقفا فى جفن الردى والردى نائم، وسيف الدولة يشاهد انتصاراته وهزيمة الجموع وكلومهم . ومرة يسرع إلى ضرب عدوه فيمزقهم كل ممزق ، ويضم جناحى جيشهم على قوته وكثرة عدده ، ومرة يفرق أشلاءهم وينثرها مبتهجا بنثرها ، كما ينثر أهل العروس فوقها دراهمهم ابتهاجا بزفافها .

ويصوره — فى مبالغة — نافذ الأمر على الزمان ، ويتخيل فى ذلك سيف الدولة يسلب الليالى كل شىء ولا يرده ، بينما إذا أخذت منه الليالى شيئاً كانت مدينة له به ، فهى ملزمة أن تغرم دينها .

ثانياً — ويصور قلعة (الحدث) حمراء ، من كثرة ما أسيل فيها من دماء القتلى .

ويصورها مجنونة من الفتن التى شبها الروم فيها ، قبل أن يأتيها سيف الدولة ، الذى أعاد إليها سكونها وهدوءها ، وقد تخيله أثرا للعلاج الذى عالجها به ، وهو مثيل التمائم : رءوس القتلى التى علقت على أبوابها .

ويصورها قد أفادت من طعان سيف الدولة وجنوده تشييدا ودعماً ، فكان طعانهم أشبه بالأساس والدعائم التى يقوم عليها البناء ، ويتقوى بها .

ثالثا — يصور الشاعر قائد جيش الروم (الدمستق) مهزوما ، تلازمه الهزيمة ، فيتخيله فارا، يلوم قفاه وجهه على إقدامه السالف، ولا يعتبر بما لقيه هو وأهله من هزائم ، وبما لمس من بطولة سيف الدولة وشجاعته وبأسه ، وكأن الدمستق ينكر ريح هذه البطولة وما إليها حتى يذوقها ، فإذا ذاقها

شغل بالحرب ، تاركا أصحابه يلقون مصيرهم ، وينالون شكره على نجاته ببدنه .

رابعاً — يصور الشاعر نفسه ناظم شعر — شبهه بالدر — يمده سيف الدولة بمعانيه .

النقد :

أولا — خرجت القصيدة من مطلع الغزل ، إذ بدأها الشاعر بحكم ، منتزعة من الجو الذى دعاه إلى المديح ، وقد خلت مطالع القصائد التى مدح بها المتنبى سيف الدولة من الغزل ، ومنها قصيدة العتاب المشهورة :

أما . ما لسيف الدولة اليوم عاتبا
فداه الورى أمضى السيوف مضاربا

فمطلعها — كما ترى — مدخل مباشر للعتاب . ومن قصائد المديح التى خلت مطالعها من الغزل قصيدته فى مدح عضد الدولة ، التى أجاد فيها وصف «شعب بوان» ، وإن لم يطل :

مغانى الشعب طيبا فى المغانى بمنزلة الربيع من الزمان

والراجح أن المتنبى اجتاز الشعب إلى «شيراز» حيث الممدوح ، فأغراه الشعب بوصفه .

على أن لمدائح المتنبى مطالع غزلية ، منها من السيفيات :

— ليالى بعد الظاعنين شكول
طوال ، وليل العاشقين طويل

— ذكر الصبا ومراتع الآرام
جلبت حمامى قبل وقت حمامى

ومن غير السيفيات :

— أيا خدد الله ورد الخدود وقد قدود الحسان القدود

(في مدح لؤلؤ أمير حمص، واستعطافه)

— باد هواك ، صبرت أم لم تصبرا ،
وبكاك ، إن لم يجر دمعك أو جرى
(في مدح ابن العميد)

— هذى ؛ برزت لنا ، فهجت رسيسا ،
ثم انثنيت ، وما شفيت نسيسا
(في مدح محمد بن زريق الطرسوسى)

ونحن نقـدر أن الشعراء العرب كانوا يبدءون قصائدهم بالغزل ؛ ليستدعوا — كما يقول ابن قتيبة[1] الإصغاء إليهم ، وليمهدوا النفوس لاستقبال ما ينشدون من المديح ، وليرققوا الإحساس ويشوقوه إلى ما يأتى ، فذلك في نظرهم يوجب على الممدوح حق الرجاء، وحرمة التأميل، ويبعث على السماح .

أما شاعرنا فقد عدل عن ذلك أحياناً ؛ لأن سيف الدولة الممدوح مستعد لتقبل مديحه ، ومهيأ بمثل ما يقيمه من حفلات انتصاره على عدوه، لسماع ما ينشده فيه الشعراء مديحا وتهنئة ، وليس سيف الدولة بحاجة إذن إلى من يرقق إحساسه ، ويشوقه ، وخاصة إذا كان المتنبى منشده . كذلك كان سيف الدولة «الشاعر» لديه استجابة طبيعية لكل شعر جيد ، وهو سمح بطبعه قد أغرق شعراءه بهباته وعطاياه ، وعلى رأسهم المتنبى .

ثانيا — معظم قصائد المتنبى يحتفظ بمستواه من القوة اللفظية ، من البداية إلى النهاية .

---

(١) الشعر والشعراء ، ط : المعارف—١٩٦٦ ج١ ص٧٥

وهذه القصيدة من هذا النمط، فألفاظها قد أحوجتنا إلى مراجعة المعجم.

وإذا كان المتنبى له من ثقافته اللغوية ما يسمح له باستخدام مفرداته، التى اطلعنا فى القصيدة على كثير منها، حتى إنه - فى مواطن أخر - قد يوردها معاظلا بها - فإننا نرى أن هذه المفردات كانت يسيرة على قائلها، ولا تحوج سامعيها إلى التوقف، فى سبيل التماس النظائر من المعانى، أو الشروح، وبخاصة إذا كان هؤلاء السامعون من أمثال سيف الدولة أمير حلب، العربى الصميم، وحاشيته. وهذا يدل أوضح دلالة على أن اللغة تحيا بالاستعمال، وتندثر بالإهمال.

ثالثاً — ومن الناحية الفكرية تأتى القصيدة صادقة فى التعبير عن فكرة الشاعر، والتى أوحى بها هذا الجو الحربى، الذى انخرط فيه الشاعر: كرفيق لولى نعمته سيف الدولة، وكعربى يعتز بعروبته، ويحس بغضه للأعاجم، ويرى فى حروب سيف الدولة رفعة لدولة الاسلام، وخفضا لدولة الشرك، وكشيعى يخلع على سيف الدولة صفة العلم بالغيب، وكفارس يتعطش إلى الضرب. ويتلذذ برؤية الدماء، وأشلاء الأعداء.

فهذا ولى نعمته — على طول القصيدة — بطل مغوار، ولا كالأبطال، ولكن المتنبى لاينسى عطاياه، وهى عطايا لايقطعها عنه الممدوح، حتى فى الموقف الذى ينسى ذكرها:

وإن لتعـــدو بى عطاياك فى الوغى
فلا أنا مذموم، ولا أنت نادم

فهذه العطايا تجرى إلى الشاعر وتسرع، فلاهو مذموم فى أخذها، لأنه يحمدها، على نحو ما قرر فى البيت السالف:

لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه فإنك معطيه وإنى ناظم

وفيه أيضاً يقر بأن الممدوح غير نادم على ما أعطى ؛ لأنه واثق أن شاعره يقوم بحق النعمة عليه .

وها هو ذا المتنبي — كعربي — يهزأ بالدمستق ، وينكر عليه عدم اعتباره بهزائمه وفجائعه ، ثم ينكر عليه أن يكون نظيرا لسيف الدولة فى الملك ، فإنما هو — أى الدمستق — يمثل الشرك ، وانتصار سيف الدولة عليه انتصار للتوحيد أى الإسلام على الشرك ، وليس انتصار ملك على ملك :

ولست مليكا هازما لنظيره
ولكنك التوحيد للشرك هازم

ومن قبل رأى المتنبي فى (الحدث) مثل الجنون ، فأصبحت سالمة ناجية على يدى سيف الدولة ، مردودة على الدين الحق ، رغم أنف الدهر :

طريدة دهر ساقها ، فرددتها
على الدين بالخطى ، والدهر راغم

والمتنبي — فيما يقال — كان متشيعاً ، وسيف الدولة من العلويين ، ولهذا لا يجد الشاعر غضاضة فى وصف أميره بعلم الغيب :

تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
إلى قول قوم : أنت بالغيب عالم

فهذه العصبية المذهبية هى داعية المتنبي إلى الغلو فى مدح سيف الدولة ، ونسبته — بعد أن جاوز به مقدار الشجاعة والعقل — إلى علم الغيب ومعرفته ، وهى فكرة شيعية مسرفة ، نسبها بعض غلاة الشيعة إلى « على » ، ثم جاء من خلعها على أبنائه أو أولياء الأمر من العلويين من بعد[1] .

---

(١) راجع مقدمة كتاب (أدب الشيعة) لعبد الحسيب طه حميدة . الطبعة الأولى (١٩٥٦) والطبعة الثانية (١٩٦٨) . مطبعة السعادة بمصر .

والمتنبي من المولعين بالإفراط فى المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة ، كما رأينا ، ومثل ذلك قوله(١) :

- وأعجب منك كيف قدرت تنشا   وقد أعطيت فى المهد الكمالا
- وأقسم لو صلحت يمين شيء   لما صلح العباد له شمالا
- يامن نلوذ من الزمان بظله   أبدا ، ونطرد باسمه إبليسا
- وأنك رعت الدهر فيها وريبه   فإن شك فليحدث بساحتنا خطبا

أما تعطش المتنبي إلى رؤية ما تنجلى عنه المعارك من دماء وأشلاء ، ففى مواضع من القصيدة : ففى البيتين السابع والثامن يسيل دماء القتلى بحيث تغير لون (الحدث) وتحيلها « حمراء » ، لكثرة ما جرت الدماء فيها . فاختلطت بماء السماء وغطت جوانبها . وفى البيت التاسع يجعل المنايا بحرا زاخرا ، له موج يتلاطم حول القلعة . وفى البيت العاشر يجد الراحة فى تعليق جثث القتلى كعوذات وتمائم ، تسكن النفوس ، وتهدىء الثائرات . وفى البيت الخامس عشر يختصم إلى المنايا ، لتحكم بين الروم و (الحدث) ، وفى البيت التاسع والعشرين يحتفل بنثر أشلاء الروم على جبل (الأحيدب) ملتذا بذلك التذاذ أهل العروس بنثر الدراهم من فوق رأسها فى حفل زفافها .

رابعا — وجاءت حكم المتنبي فى هذه القصيدة كسائر حكمه فى أشعاره ، حكما «مستنبطة» ، بمعنى أنها لا تصدر عن المنطق المجرد وحده ، وإنما تصدر عن منطق صقلته التجربة البشرية ، فهو يحاول أن يلاحظ النفس الإنسانية فى ظواهرها وأسرارها ، ويعرض ملاحظاته على عقله اللماح ، فيخرج لنا نتاجا من الشعور والمنطق ، وهذا هو سر اطمئناننا وجدانيا وفكريا إلى

---

(١) وانظر يتيمة الدهر للثعالبي تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١/١٦٤ وما بعدها .

تلك الحكم ، وكأننا نجد فيها تجاربنا ، أو نطل منها عليها ، وهذا باب ولج منه المتنبي إلى الشهرة والخلود الأدبي .

تقرأ مطلع القصيدة فما تلبث إلا أن تسلم بتفاوت أقدار الكرام وذوى العزم ، وتفاوت إرادتهم بقدر ما يطمحون إليه وينهضون به ، وتسلم بأن ضعاف الهمة يصادفون الصغير عظيما ، وكبار الهمة يصادفون العظيم صغيرا ؛ لأن الأولين قد صغرت أقدارهم ، فهم يقنعون بقليل ، والآخرين قد اتسعت مراميهم ، فهم ينشدون المجد ذا سعة .

وتقرأ قوله :

ومن طلب الفتح الجليـــل فإنما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم

فهو يعطيك مثالا لما ينبغى أن يكون عليه طالب المعالى . فأداته إليها يجب أن تكون كفيلة بتحقيق مراميه ، وهذا سيف الدولة طلب الفتح الجليل فكانت أدواته السيوف المرهفات القواطع ، وكانت - في وقته - أعظم آلات الحرب والقتال .

خامسا — نعرف المتنبي مترفعا متعاليا ، تعلو دائما فى شعره نغمة اعتداده بنفسه وطموحه ، ومغالبته للزمان والأقدار . تقرأ ذلك فى شعره بعامة :

ففى العتب ، وهو مما يستوجب الترفق ، يقول :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأننى خير من تسعى به قدم
أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم
أنام ملء جفونى عن شواردها ويسهر الخلق جراها ويختصم

ويقول فى مدح كافور :

وفى الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

ولكن قلبا بين جنبى، ماله مدى ينتهى بى فى مراد أحده
يرى جسمه يكسى شفوفا تربه فيختار أن يكسى دروعا تهده

ويقول فى مواطن أخر:

- أريد من زمنى ذا أن يبلغنى ما ليس يبلغه فى نفسه الزمن
- إذا غامرت فى شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
- وما الدهر إلا من رواة قصائدى إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا وغنى به من لا يغنى مغردا
أجزنى إذا أنشدت شعرا، فإنما بشعرى أتاك المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتى؛ فإننى أنا الطائر المحكى والآخر الصدى

ولكن هذه النغمة غير واضحة فى قصيدتنا، فليس له فيها من حديث عن نفسه إلا فى الأبيات الثلاثة (٤١ - ٤٢ - ٤٣): لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه ... الأبيات، وهو حديث لا نشم فيه رائحة التعالى، بل قد نرى فيه اعترافا منه بفضل الممدوح، الذى يلهم شاعرنا شعره، ويجود عليه بالعطايا فى الوغى غير نادم على أن يهب له ذلك الفرس الطيار. وقد يريد الشاعر أنه - أى المتنبى - يقصد الوغى على كل فرس يطير إلى الوغى إذا بلغ مسمعيه صوت الأبطال فى الحرب، ففى قوله إذن إشارة إلى شجاعته، وهى إشارة يسوقها فى غير تكبر وخيلاء.

وهذا مما يتطلبه أدب المديح ومراعاة أحوال الممدوح(١). وقد يمثل هذا المطلب الوجه الآخر الذى يقابل خيلاء المتنبى، وإدلاله بامتيازه

---

(١) انظر نقد الشعر لقدامة ص ٢٨ وما بعدها، وعيار الشعر لابن طباطبا ص ١٢ وما بعدها، والعمدة لابن رشيق ١/١٩٥ وما بعدها.

وفضله . ومما يتكافأ مع هذا الأدب كثير من شعر المتنبى ، نذكر منه على سبيل المثال :

- حنانيك مسئولا ، ولبيك داعيا	وحسبي موهوبا ، وحسبك واهبا
- إذا سأل الإنسان أيامــه الغنى	وكنت على بعد — جعلنك موعدا
- يا من يقتـل من أراد بسيفه ؛	أصبحت من قتلاك بالإحسان
- يأيها المحسن المشـكور من جهتى	والشكر من قبل الإحسان ، لاقبلى
أنت الجواد ، بلامن، ولا كدر ،	ولا مطال ، ولا وعد ، ولا مذل

ومن الواضح أن تعالى المتنبى أو اتزانه راجع إلى حالتـه النفسية وما يثيرها، فلقد يحس الثورة إذا كدر عيشه ، وقلق خاطره، وقرأ فى أعين حساده وشانئيه البغض والشنآن ، ويحس الطمأنينة والدعة إذا طاب عيشه ونعم جواره ، ولقى التقدير(١) .

سادسا — فى القصيدة معان وصور ، تكاد تـكون فريدة ، وإن لم تخل من أن يقال فيها . ونذكر منها الأمثلة الآتية :

(أ) وكان بهـا مثل الجنون ، فأصبحت
ومن جثث القتـــلى عليها تمائم

فيه تصوير لما أصاب قلعة (الحدث) من اضطراب بسبب استقبلاء الروم عليها ، وجهدهم فى فتنة أهلها عن دينهم، فأشبه هذا الجنون، ولما كان الجنون يعالج فى وقته بالتميمة ، ، بحسبانه لونا من ألوان السحر ، صح لدى المتنبى أن يعالج نظير الجنون بنظير التميمة ، وهو -كما يذكر- جثث القتلى من الروم علقها سيف الدولة على أبواب القلعة .

---

(١) وانظر تاريخ الأدب فى العصر العباسى الثانى لإبراهيم على أبى الخشب — دار الفـكر العربى — ص ٤٣٤ .

وقد قيل : إن أبا تمام سبق إلى هذا المعنى ، وذلك فى قوله :

تـكاد عطاياه يجن جنونها   إذا لم يعوذها بنغمة طالب .

(ب) يفدى أتم الطير عمرا سلاحه   نسور الملا: أحداثها، والقشاعم
وما ضرها خلق بغير مخالب   وقد خلقت أسيافه والقوائم !

فيه معنى يمكن أن يهتدى إليه أصحاب الملاحظة ، حين يلاحظون تحويم الطير فوق مظان مطعمها ، وهو معنى متداول ، منذ قال النابغة الذبيانى :

إذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم   عصائب طير تهتدى بعصائب
جوانح ، قـد أيقن أن قبيله   إذا ما التقى الجمعان أول غالب

وقال عنترة :

إذا التقيت الأعادى يوم معركة   تركت جمعهمو المغرور ينتهب
لى النفوس ، وللطير اللحوم ، وللـ   وحش العظام ، وللخيالة السلب

وأخذه أبو نواس فقال :

تتأيا الطير غـــزوته   ثقة باللحم من جزره

وقال مسلم بن الوليد :

قد عود الطير عادات وثقن بها   فهن يتبعنه فى كل مرتحل

وقال أبو تمام :

وقد ظللت أعناق أعلامه ضحا   بعقبان طير ، فى الدماء نواهل
أقامت مع الرايات ، حتى كأنها   من الجيش ؛ إلا أنها لم تقاتل

فكل من النابغة ومسلم وأبى تمام يحرك طيره ، وعنترة وأبو نواس يجعلانه ينتظر ، والمعنى أن الطير تفيد من غزوات الممدوح مطعمها ورزقها ، وهذا هو أيضاً ما ذهب إليه المتنبى فى بيته ، ولـكنه أضاف إلى المعنى جديدا فى تصويره التفدية ، فجعل الطير مستعدة للدفاع والنضال عن المحارب اعترافا

بالجميل لصاحبه ، بينما نفى أبو تمام عنها ذلك فى معرض الظن بأنها من صفوف الجيش ، والظن أدنى شأنا من التقرير الذى لجأ إليه المتنبى وكذلك زاد المتنبى نفيه — أو إنكاره — حاجة ضعاف النسور — الطفل منها والمسن — إلى مخالبها ؛ لأنها ضمنت رزقها ، يأتيها رغدا من كل مكان يطؤه جيش الممدوح .

(ح) وقفت ، وما فى الموت شك لواقف ،

كأنك فى جفن الردى ، وهو نائم

تمر بك الأبطال كلمى ، هزيمة، ووجهك وضاح ، وثغرك باسم

معنى هذين البيتين يكرره الشاعر ويعيده ، ومن ذلك قوله :

صدمتهم بخميس . أنت غرته وسمهريته ، فى وجهه غمم

فكان أثبت ما فيهم جسومهمو يسقطن حولك ، والأرواح تنهزم

ومن ناحية التصوير : سبقت الاشارة إلى أنه يصور سيف الدولة فى ساحة الحرب شجاعا ، باسما مشرقا ؛ لثقته من النصر على عـدوه .

وقد قيل(١) : إن سيف الدولة قد عاب البيتين بأن شطرى كل منهما لا يلتئمان ، وقد كان ينبغى عنده أن يقول المتنبى :

وقفت ، وما فى الموت شك لواقف ووجهك وضاح ، وثغرك باسم

تمر بك الأبطال كلمى ، هزيمة ، كأنك فى جفن الردى ، وهو نائم

وناظر سيف الدولة صنيع شاعره بصنيع امرئ القيس فى قوله :

كأنى لم أركب جوادا للذة ، ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروى ، ولم أقل لخيلى : كرى كرة بعد إجفال

وحقهما عند سيف الدولة :

كأنى لم أركب جوادا . ولم أقل لخيلى : كرى كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروى للذة ، ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

---

(١) يتيمة الدهر للثعالبى ٢١/١ وما بعدها .

فقال المتنبي ، دفاعا عن شعره وشعر امرىء القيس : « إن صح أن الذى استدرك على امرىء القيس هذا كان أعلم بالشعر منه فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا (يعنى سيف الدولة) يعلم أن الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك ، لأن البزاز يعرف جملته ، والحائك يعرف جملته وتفاريقه ، لأنه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية . وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، وقرن السماحة فى شراء الخمر للأضياف بالشجاعة فى منازلة الأعداء . وأنا لما ذكرت الموت فى أول البيت أتبعته بذكر الردى — وهو الموت نفسه — ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا ، وعينه من أن تكون باكية ، قلت : (ووجهك وضاح وثغرك باسم) ، لأجمع بين الأضداد فى المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها » .

وسواء أكان هذا الدفاع من المتنبى أم كان منسوبا إليه لقد كفانا فى هذا الموضع .

(د) مضى يشكر الأصحاب فى فوته الظبا . . . . الأبيات الثلاثة

فيها تبدو فكرة التهكم بالدمستق قائد جيش الروم ، الذى أفلت غانما بجلده ، فهو يشكر أصحابه الذين شغلت بهم سيوف سيف الدولة وأصحابه ، وكان صوت هذه السيوف لغة لم يفهمها إلا ذلك القائد الرومانى ، الذى فرح بنجاته وسلامته ، بعد أن قدم جيشه وماله طعمة للحرب وغنيمة للمنتصر .

وهذه الفكرة التهكمية عينها بما يصحبها من تصوير يحلوها ، قد كررها المتنبى فى أكثر من موضع :

— لعلك يوما ، يا دمستق ، عائد فكم هارب مما إليه يؤول

نجوت بإحدى مهجتيك جريحة وخلفت إحدى مهجتيك تسيل

— سراياك تترى ، والدمستق هارب ،

وأصحابه قتلى ، وأمواله نهـــبى

أتى « مرعشا » يستقرب البعد مقبلا

وأدبر — إذ أقبلت — يستبعد القربا

(ه) تفيت الليالى كل شيء أخذته وهن لما يأخذن منك غوارم

إذا كان ما تنويه فعلا « مضارعاً »

« مضى » قبل أن تلقى عليه « الجوازم »

فكرة البيتين — كما ألمحنا — أن سيف الدولة ذو قدرة نافذة فائقة ، ويصوره الشاعر أعلى من الزمان قدرة وشأناً ، فسيف الدولة يسلب الليالى، ولاتستطيع هى أن تسلبه ، بل إنه يدينها، وهى لدينه غارمة . وسيف الدولة ينفذ ماينويه ، ويعجل بفعله فى الحال. قبل أن تعترضه القيود التى تحول دون إنفاذه . وفى هذه ينقل خيال الشاعر من مصطلحات علم « النحو » ويصطنعها، فيشبه أمر ممدوحه النافذ بالفعل المضارع ، وهو فى طبيعة وقته صالح للحال والاستقبال ، ولكنه فى خيال المتنبى قد « مضى » ، أى تحول بالإنفاذ إلى وقت الماضى ، قبل أن تلقى عليه الجوازم ، وخاصة الجوازم الشرطية ، أى أن الممدوح يتحرك لفعله قبل أن يقال له مثلا : لتفعله (أمرا) ، أو لا تفعله (نهيا) ، أو لم تفعله (نفيا أو انكارا) . أو لما تفعله (نفيا موصولا بالحاضر) . أو إن تفعله تحصل على كذا وكذا ، أو إن ترد أن تحصل على كذا تفعله (واقعا فى الشرط قيدا أو نتيجة) .

وللمتنبى أخيلة ، يأخذها من : النحو ، والصرف ، والبلاغة، والمنطق، والفلسفة ، وعلم الكلام ، والفقه ، والحساب ،والفلك ، والتاريخ . تطالع قارىء ديوانه بين الحين والحين .

ومن اصطناعه لمصطلحات النحو قوله مماثلا فى المعنى ما نحن بصدده :

يتفزع الجبار من بغتاته فيظل فى خلواته متكفنا
أمضى إرادته « فسوف » له « قد »
واستقرب الأقصى « فثم » له « هنا »

فـ « سوف » للاستقبال ، و « قد » للمضى ومقاربة الحال ، فكأنه يقول : إذا نوى الممدوح أمراً فكأنما يسابق نيته(١) . و « ثم » للإشارة البعيدة ، و « هنا » للإشارة القريبة ، ومقصوده أن قصى الأمور تطوله همته دون عناء ولا تلبث .

(و) نثرتهمو فوق الأحيدب نثرة كما نثرت فوق العروس الدراهم

فيه خيال يستمده من مظاهر التحلى ، وهو كما ترى جاء على سبيل التشبيه ، تشبيها أقرب مايكون إلى وصف مايقع ، منه إلى الرقة أوالحلاوة ، التى قد يوحى بها المشبه به .

سابعا : عيب على المتنبى إكثاره من ذكر « ذا » الإشارية فى كثير من شعره(٢) . ومنه قوله فى القصيدة :

— وكيف يرجى الروم والروس هدمها
و « ذا » الطعن آساس لها ودعائم

— أفى كل يوم « ذا » الدمستق مقدم
قفاه على الإقدام للوجه لائم

و « ذا » - فيما ينقل « الثعالبى » عن « القاضى الجرجانى » - ضعيفة فى صنعة الشعر ، ودالة على التكلف ، « وأنت لا تجدمنها فى عدة دواوين جاهلية حرفا ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن فى الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والفلتة » .

(١) يتيمة الدهر ١ / ١٨٣ .
(٢) المرجع نفسه ١ / ١٦٣ وما بعدها .

ونحن لا نرى هذا الصنيع أمرا مطردا ، فإن « ذا » - وكذلك أشباهها - مقبولة غير مرفوضة إذا جاءت فى موضعها من الشعر ، ووافقت محلها الذى يليق بها وتليق به .

والبيت الأول هنا ، لا نحس بأن « ذا » فيه قلقة مضطربة ، فهى مقبولة .

والبيت الآخر (أفى كل يوم . . .) معيب عند « الثعالبى » بسبب « ذا » ، وما نراه كذلك ، فإن « ذا » هنا إشارة تحقير وتسفيه ، مثلها فى قول المتنبى فى إحدى كافورياته :

أبا المسك ، « ذا » الوجهُ الذى كنت تائقا
إليه ، و « ذا » الوقتُ الذى كنت راجيا

وفى رأينا أنه لا يوجد لفظ شعرى وآخر غير شعرى ، فأى لفظ أدى إلى إصابة المعنى والعبارة عن إحساس الشاعر ، إنما هو لفظ صالح للاستعمال ، وليس ينبغى النظر إلى اللفظ مفردا ، بل ينبغى النظر إليه فى تركيب عبارته .

كلاب البشر للشريف الرضى

الشاعر :

هو الشريف الرضى ، من عترة البيت العلوى ، ونقيب الأشراف الطالبيين فى بغداد ، بلغ فى مقامه هذا فى القرن الخامس الهجرى منزلة لدى الخاصة والكافة لا تطاولها منزلة الخلافة العباسية نفسها .

وهذه الأبيات فى الهجاء ، وإن لم يصرح فى ديوان الشريف الرضى بهذا ، وكنا نود أن نعرف داعية هذا الهجاء ، والدافع على قوله ، ولكن الظاهرة البينة فى الديوان كله تقسيم الشعر إلى أبواب المديح ، والافتخار ، والمراثى ، والنسيب والغزل ، والوصف . وما عداها يذكر تحت عنوان (الأغراض) ويقال : قال فى غرض له — كما جاء فى تقديم هذه الأبيات — أو : قال فى غرض آخر ، أو : قال وكتب بها إلى بعض أصدقائه ، أو : قال فى معنى ، أو : قال فى معنى آخر . وكأن جامع الديوان لم يشأ — تعففا أو تحرجا — أن ينسب إلى الشريف قول الهجاء صراحة .

النص :

١ — لعل الدهر أمضى منك غربا وأقوى فى الأمور يداً وقلبا

٢ — ومقلته إذا لحظت حسامى تغيض مهابة وتفيض رعبا

٣ — فكيف وأنت أعمى عن مقالى ولو عاينته لرأيت شهبا ؟

٤ — عذرتك ؛ أنت أردى الناس أصلا ،
وأخبث منصباً ، وأذل جنبا

٥ — وأنت أقل فى عينى من أن أروعك ، أو أشن عليك حربا

٦ — أأعجب من خصامك لى ، وجدى
رسول الله يوسع منك سبا ؟

٧ — ومن رجم السماء فلا عجيب   يقال : حثا بوجه الأرض تربا
٨ — فإنك إن هجوت هجوت ليثاً   وإنى إن هجوت هجوت كلبا

المفردات :

أمضى : أفعل من المضى وهو الذهاب والدوام والنفاذ . غرب كل شىء : حده وحدته .

المقلة : شحمة العين التى تجمع سوادها وبياضها ، وتطلق على العين . لحظت العين : نظرت بمؤخرها عن يمين ويسار وهو أشد التفاتا من الشزر . الحسام : السيف . تغيض : تقل وتنضب وتنقص . المهابة : الإجلال والإعظام . تفيض : تكثر وتسيل ولا يكون السيلان إلا من امتلاء . الرعب : الخوف .

عاينته : رأيته بعينك يقال : عاين الشىء رآه بعينه . والشهب (بضمتين . وتسكين الأوسط للوزن) جمع شهاب وهو فى الأصل شعلة النار الساطعة .

عذرتك : يقال : عذره (من باب ضربه) رفع عنه اللوم فهو معذور أى غير ملوم . أردى : أفعل من ردى (من باب تعب) بمعنى هلك ، ويجوز أن يكون (أردا) من (أردأ) وسهلت الهمزة ، وفعله ردؤ (من باب ظرف) بمعنى فسد واتضع . أخبث : أفعل من خبث خلاف طاب . والمنصب : الأصل . أذل : أفعل من ذل ذلا ومذلة وهو ضد العز : الجنب : جنب الإنسان أى ما تحت إبطه إلى كشحه ، والجنب الناحية كالجانب .

أروع : مضارع راعه بمعنى أفزعه وهو المقصود هنا ، ويأتى بمعنى أعجبه . أشن حربا : أثيرها وأهيجها وأفرقها على الأعداء من كل ناحية .

يوسع : مضارع أوسع بمعنى صار ذا سعة وغنى ، أو بمعنى اتسعت حاله . السب : الشتم والطعن والقطع .

رجم : فعل الرجم وأصله الرمى بالحجارة . حثا التراب يحثوه ويحثيه (من باب نصر وضرب) إذا هاله بيده أو إذا قبضه بيده ثم رماه . والباء فى (بوجه الأرض) ظرفية بمعنى « فى » .

هجوت : الهجاء ضد المدح فى الهجاء عيب ووقوع على النقائص .

والليث : الأسد .

تحليل :

يقدم الشاعر بين يدى هجائه فى البيتين الأولين ، فيفخر ببأسه وفصاحته ، ويتمثل بالدهر الذى عركه وخبره وعرف فيه مثل هذه الصفات ، فغاض طرفه أمامه إجلالا ومهابة ، وجعل يفيض رعبا منه وخوفا . وإذا كان موقف الدهر منه كذلك - وهو المشهود له بالمضاء والقوة فلا يغلبه مغلب - فما بالك بمن لا يكافئه مضاء ولا يناظره قوة ، كهذا الخصم المهجو .

وفى البيتين الثالث والرابع يتهم الشاعر خصمه بالعمى عن إدراك فصاحة الشاعر ، ويتهكم به إذ يلتمس لخصمه عذرا من عدة أوجه : الضعة / الخبث / الذلة ، وكل منها لا يشرف .

وفى الأبيات الباقية يعلن الشاعر أنه يربأ بنفسه أن يشغل بخصمه ؛ لأنه أحقر من أن يثير الشاعر لمناهضته وحربه ، ويجبهه بأنه نال من الرسول - عليه الصلاة والسلام - حين هجا الشاعر ، وذلك بحكم صلة القربى بين الرسول والشاعر .

ثم يرد عليه هجاءه ، فيريه أنه لم يبلغ من نفسه شيئا ، لبعد ما بينهما ، فالشاعر لا يعير خصمه التفاتاً ، كما لا يعير الليث الكلب ، وهل وجدنا ليثا يهتم بكلب من كلاب الحيوان .

أهم الصور :

يصور الشاعر نفسه فى قمة البأس والفضل الوافر ، وفى هذا يناظر

نفسه بالدهر ، الذى ترتعد فرائصه أمامه ، ويقف قبالته موقف الخاشع الهيابة .

ويصور الشاعر فصاحته واضحة مشهورة مشهودة ، فمن ينكرها فهو الأعمى الذى لا يبصر ، ولو أبصر لراعه منها مثل الشهاب الساطع ، يبهر الأعين ويخطف الأبصار .

ويصور الخصم بصورة القليـــل الضئيل الحقير ، الذى لا يستأهل المشغلة به .

ويتخيل الشاعر خصمه كمن يرجم السماء فترتد الحجارة إلى وجه الأرض ترابا من جنس ترابها . فصورة هجائه هى صورة التفاهة ، فهو - أى الهجاء - مردود عليه .

وأخيرا : يضع الشاعر نفسه من خصمه فى مناظرة الليث من الكلب ، فأحدهما فى قمة المجد والآخر فى درك الحطة .

النقد :

أولا — عرفنا الشريف الرضى فى شعره - بعامة - ينتصر للقيم الإنسانية ويشيد بالمثل الأخلاقية ، فهو فى فخره يرينا من نفسه حاميا لتلك القيم والمثل ، ويصلها بالعترة النبوية ، وإذا مدح جعل تلك القيم والمثل محور مديحه ، ووضعها فى قائمة النعوت التى يبتغيها فى ممدوحه ، لأن الشريف ما كان يرغب فى عطاء هو عنه فى غنى ، ولا فى شهرة هو واقع فيها ، وإذا تغزل وصف لواعجه ، وأظهر حبه الأمثل ، الذى يعف عن الدنايا وعن الحسيات .

ولقد كان أدبه الذى أدب به يحتم عليه ذلك كله ، وكان منصبه نقيباً لأشراف الطالبيين فى بغداد - يعلو به فى نظر نفسه وفى نظر الناس ، ويضعه فى مكان الإجلال والتكريم ، وفى منزلة قد لا تطاولها الخلافة نفسها .

يقول الشريف الرضى :

قد عز أصلى ، ويعز غصنى غنيت بالمجد ، ولم أستغن

وفى هذا البيت جماع أوصافه ونعوته .

ثانيا — قد لا يتصور أن يصدر عن مثل هذا الماجد الشريف الهجو وفحش القول ، إلا أن الحليم قد يستثار ، فيتوارى حلمه ، ويتبدى غضبه ، ولنا من قول الشريف الرضى :

« وللحلم أوقات ، وللجهل مثلها »

دليل على ذلك ، فأوقاته مقسومة بين الحلم وما إليه من أناة وصبر وثبات ، وبين الجهل وما إليه من جفاء وغلظة وإسراع إلى الانتقام .

وإذ نعرف أن الشريف بطبعه لا يتطوع بالهجو ، نعرف أيضا أن ما نقرؤه له هجوا إنما يصدر عن منطق الدفاع عن عرضه والانتصاف لحقه ، والغضب لمجادته المهدرة .

ثالثا — والهاجى لا يكون - ولا ينتظر منه أن يكون - رفيقا بالمهجو ، يمهد له الوطاء اللين ، أو يداعب مشاعره ، أو يتألفه ، وإنما يأخذ الهاجى بتلابيب المهجو ، ويكيل له ، ويفضح قوله أو فعله ، ويضعه حيث ينبغى له أن يوضع فى درك المنازل ؛ جزاء وفاقا لخبيث أمره وطويته ، الذى دفع الهاجى إلى شجبه .

وهنا يرد الشريف الرضى الإساءة إلى خصمه ، ويشعره بما جناه ، ويبصره بما خفى عنه من فضائل ، ما لو أمعن النظر فيها ما أساء ، وترتفع نغمة التجريح فى هجاء الشريف فيرمى صاحبه بالحقارة والخسة ، ويشبهه بالكلب منظوراً فيه أخس الطباع .

ولو وازنا بين أبياته وأبيات ابن الرومى :

وجهك - ياعمرو - فيه طول وفى وجوه الكلاب طول

مقابح الكلب فيك طرا　　يزول عنها ولا تزول
وفيه أشياء صالحات　　حماكها الله والرسول
فالكلب واف ، وفيك غدر ؛　　ففيك عن قدره سفول
وقد يحامى عن المواشى　　وما تحامى ، ولا تصول

وجدنا الشريف الرضى يكتفى بتشبيه صاحبه بالكلب ولا يوغل بوصفه إلى أعماق الإساءة والتجريح ، أما ابن الرومى فيصور سخريته من صاحبه عمرو بأكثر من صورة ، فهو يضعه والكلب على درجة سواء فى الشكل ، وفى القبح ، ويوازن بين خسة صاحبه ومزايا الكلب ، ففى الكلب : وفاء ، وجرأة ، ونفع ؛ بينما صاحبه على الضد : غادر ، جبان ، لا يغنى غناء الكلب بحال .

رابعا — وهذا الشعر يحمل كثيرا من خصائص شعر الشريف ، فالنظم متماسك ، وفيه أثارة من المنطق والحجة ، ويبين عما كان الشاعر يميل إليه ، ويؤثره ، من رعاية الأسلوب العربى التقليدى ، وتلوينه بالبديع بقدر ، مع عدم الإغراق فى الصنعة ، أو الإلحاح عليها .

ومما فى الأبيات من هذا البديع :

— الجناس والطباق بين تغيض وتفيض ، حيث جعل عين الدهر أمامه تتضاءل هائبة ويزداد رعبها ، وكلاهما يؤدى إلى الآخر ويستلزمه .

— المقابلة فى البيت الثالث أسهمت فى وضوح فصاحة الشاعر ونباهته ، فلا ينكرها إلا ذو حس متبلد .

— وكذلك المقابلة فى البيت السابع أوضحت صورة التفاهة ، التى ظهر فيها المهجو . وأبانت له أن سهامه مردودة عليه ، وأنه بمقاله يتعب فى غير طائل ، ويتجشم مشقة ذات بوار .

المقامة «الشيرازية» للحريري

«حكى الحارث بن همام: قال: مررت في تطوافي بشيراز، على ناد يستوقف المجتاز. ولو كان على أوفاز(١)، فلم أستطع تعديه، ولا خطت قدمي في تخطيه، فعجت إليه لأسبك سر جوهره، وأنظر كيف ثمره من زهره، فإذا أهله أفراد، والعائج إليهم مفاد(٢)، وبينما نحن في فكاهة أطرب من الأغاريد، وأطيب من حلب العناقيد، إذ احتف بنا ذو طمرين، قد كاد يناهز العمرين، فحيا بلسان طليق، وأبان إبانة منطيق(٣)، ثم احتبى حبوة

---

(١) التطواف: الدوران شيراز: إحدى مدن فارس. يستوقف المجتاز: يدعوه للوقوف، والمجتاز هو المار. أوفاز: جمع وفز (بفتح فسكون): وهو العجلة. ويقال: أوفزت فلانا أي أعجلته، واستوفز فلان في قعدته: أي قعد غير مطمئن، وتكون أوفاز جمع وفز (بفتحتين): وزان أسفار وسفر وزنا ومعنى.

(٢) تعديه: مجاوزته. خطت قدمي: أي تخطت. تخطيه: أي مفارقته. وعجت إليه: ملت إليه، أسبك: أختبر، والأفراد: أي الذين لا نظير لهم في صفاتهم وسماتهم، العائج: المائل والواقف، مفاد: من أعطى الفائدة.

(٣) الفكاهة: يقصد بها الحديث الحلو، والأغاريد: جمع أغرود وهو الغناء، حلب العناقيد: كناية عن الخمر.

احتف بنا: بمعنى توسطنا لأنه إذا صار في وسط القوم كانوا هم محيطين به. ذو طمرين: صاحب ثوبين باليين. يناهز العمرين: يبلغهما، والعمران فيما يقال: عمر الزيادة وعمر النقص، فالأول حتى سن الأربعين يكون الإنسان في ازدياد ونماء وقوة، وعمر النقص من الأربعين إلى الثمانين، فإذا بلغ=

المنتدين ، وقال : اللهم اجعلنا من المهتمدين(٤) ، فازدراه القوم لطمريه ، ونسوا أن المرء بأصغريه ، وأخذوا يتداعون فصل الخطاب ، ويعتدون عوده من الأحطاب ، وهو لا يفيص بكلمة ، ولا يبين عن سمة ، إلى أن سبر قرائحهم ، وخبر شائلهم وراجحهم(٥) ، فحين استخرج دفائنهم ، واستنثل كنائنهم ، قال : يا قوم ، لو علمتم أن وراء الفدام ، صفو المدام ، لما احتقرتم ذا أخلاق ، وقلتم : ماله من خلاق(٦) ، ثم فجر من ينابيع الأدب ، والنكت

= الانسان الثمانين فقد استوفى العمرين ، لسان طليق : فصيح . ومنطيق : ذو نطق فصيح .

(٤) احتبى : جلس على عجيزته ورفع ساقيه وشبك عليهما بيديه . المنتدين : المجتمعين فى النادى وهو المجلس .

(٥) ازدراه القوم : استحقروه . أصغريه : الأصغران القلب واللسان ، والمرء بأصغريه أى أنه يقوم بهما ويكمل ، يتداعون : أى يدعون . فصل الخطاب : يقصد به البيان المشتمل على الأحاجى والألغاز ، وجملة يعتدون عوده من الأحطاب بمعنى أنهم يعدون جيده ورديئا لفرط فصاحتهم وبلاغتهم ، يفيص : يبين ، والسمة : العلامة ، سبر قرائحهم : أى اختبرها ، والقرائح : الأفهام . شائلهم وراجحهم : أى ناقصهم ، وكاملهم ، أو عاطلهم وفاضلهم ، وأصلهما من كفتى الميزان إذا رجحت إحداهما شالت الأخرى وهى الناقصة .

(٦) دفائنهم : يقصد ما خفى من أمورهم ، استنثل كنائنهم : استفرغها ، والكنائن فى الأصل جمع كنانة وهى جعبة السهام وكنى بها عن معارفهم ، الفدام : سداد القارورة ، المدام : أى الخمر الصافية ، وذو الأخلاق : أى صاحب الثياب الباليات ، والخلاق : نصيب من الخير ، وفى الكتاب الكريم : « وماله فى الآخرة من خلاق » : أى ليس له فيها نصيب من الثواب .

النخب ، ماجلب به بدائع العجب، واستوجب أن يكتب بذوب الذهب[١] ، فلما خلب كل خلب ، وقلب إليه كل قلب ، تحلحل ، ليرحل ، وتأهب ، ليذهب . فعلقت الجاعة بذيله ، وعاقت مسرب سيله ، وقالت له : قد أريتنا وسم قدحك ، نخبرنا عن قيضك ومحك ، فصمت صموت من أفحم ، ثم أعول حتى رحم[٢] ،

قال الراوى : فلما رأيت شوب أبي زيد وروبه ، وأسلوبه المألوف وصوبه ؛ تأملت الشيخ على سهومة محياه ، وسهوكة رياه ، فإذا هو إياه ، فكتمت سره ؛ كما يكتم الداء الدخيل ، وسترت مكره ،وإن لم يكن يخيل[٣]

---

(١) الينابيع :فى الأصل جمع ينبوع وهو العين الجارية . النكت النخب: النوادر المختارات من الكلام .

(٢) خلب : خدع . كل خلب : أى كل ذى خلب ، والخلب الحجاب الذى بين القلب وسواد البطن ، وتحلحل بمعنى : تحرك .يرحل : أى يزول عن مكانه . تأهب : أى استعد . علقت : بمعنى تعلقت . وذيله : طرف ثوبه . وعاقت : أى منعت . ومسرب سيله : أى مجراه . وسم قدحك : علامته ، والقدح (بالكسر) : السهم . وقيضك ومحك : يقصد به ظاهر أمره وباطنه ، وأصل القيض قشر البيضة اليابس (والقيق قشرها اللين الذى تحت القيض) والمح صفار البيضة . وأفحم (بالبناء للمفعول) أى : أسكت لانقطاع حجته . أعول : أى بكى بصوت .

(٣) شوبه وروبه : يقصد صدقه وكذبه ، والشوب العسل والروب اللبن الرائب . أسلوبه : فنا فى كلامه . صوبه : يقصد كثرة معارفه ، وأصله نزول الغيث . وسهومة محياه : تغير وجهه من وعثاء السفر ، سهوكة رياه : قبح رائحته، والسهك : الرائحة الكريهة نجدها فى الانسان إذا عرق ، وقيل: السهك ريح السمك أو صدأ الحديد . والريا : الرائحة . =

حتى إذا نزع عن إعواله ، وقد عرف عثورى على حاله ، رمقنى بعين مضحاك ، ثم طفق ينشد بلسان متباك(١):

أستغفر الله وأعنو له من فرطات أثقلت ظهريه(٢)
ياقوم كم من عاتق عانس ممدوحة الأوصاف فى الأنديه(٣)
قتلتها لا أتقى وارثا يطلب منى قوداً أو ديه(٤)
وكلما استذنبت فى قتلها أحلت بالذنب على الأقضيه(٥)

= والداء الدخيل : الداء الباطن الذى لايمكن المريض أن يتفوه به استقباحا للحديث عنه . ويخيل : بمعنى يشتبه ويلتبس .

(١) نزع عن إعواله : كف عنه ، والإعوال البكاء بصوت . عثورى: أى أطلاعى . رمقنى : نظرنى ، مضحاك : كثير الضحك . متباك : متكلف البكاء ، وهو الذى يظهر أنه يبكى وليس بباك .

(٢) أعنو : أخضع . فرطات : جمع فرطة وهى الزلة والسقطة وسابقة الذنب .

(٣) العاتق : الشابة التى أدركت وهى بكر . العانس : البكر التى كبرت فى بيت أبيها ولم تتزوج ؛ ويقصد الخمر الصرف العتيقة .

(٤) قتلتها : من قتل الخمر وهو مزجها بالماء. القود : القصاص بقتل القاتل عمدا . الدية : المال يدفعه القاتل إلى أهل القتيل .

(٥) استذنبت : نسبت إلى الذنب . الأقضية : جمع قضاء ويقصد قضاء الله وقدره .

ولم تزل نفسى فى غيها وتتلها الأبكار مستشريه(١)
حتى نهانى الشيب لمـــا بدا فى مفرقى عن تلـكم المعصيه
فلم أرق منذ شاب فودى دماً من عاتق يوماً ولا مصبيه(٢)
وها أنا الآن على ما ترى منى ومن حرفتى المـكديه(٣)
أرب بكرا طـال تعنيسها وحجبها حتى عن الأهويه(٤)
وهى على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المغنيـــه(٥)
وليس يكفينى لتجهـــيزها على الرضا بالدون إلا ميه(٦)
واليد لا توكى عـــلى درهم والأرض قفر والسما مصحيه(٧)
فهل معين لى على نقلهـــا مصحوبة بالقينة الملهيه(٨)

---

(١) غى النفس : ضلالها. الأبكار : جمع بكر ويقصد منها أنواع الخمر . مستشرية : متمادية ، من استشرى الفرس فى عدوه إذا لج وتمادى .

(٢) الفود : جانب الرأس من أعلى الصدغ ، وللرأس فودان مصبية ذات صبية ويراد بالعاتق الخمر الحديثة وبالمصبية الخمر القديمة .

(٣) الحرفة : الشغل الذى يتـكسب منه . المـكدية : القليلة الغناء من أكدى الرجل إذا قل خيره .

(٤) أرب وأربى بمعنى. تعنيسها: تعنيس الخمر أى مكثها فى الدن . الأهوية: جمع هواء وهو ما بين السماء والأرض .

(٥) الغانية : المرأة الجميلة التى غنيت بجمالها عن الزينة ، المغنية : الـكافية عن غيرها .

(٦) ميه : هى المائة (١٠٠) بالحساب وكانوا يتعاملون بالدينار والدرهم

(٧) اليد لا توكى على درهم :أى لا تقبض عليه،والوكاء خيط يشد به فم القربة . والسماء مصحية : أى انجلى غيمها .

(٨) القينة : الأمة مغنية أو غير مغنية ، الملهية : أى المطربة .

فيغسل الهم بصابونه والقلب من أفكاره المضنيه[1]
ويقتنى منى الثنـــاء الذى تضوع رياه مع الأدعيه[2]

قال الراوى : فلم يبق فى الجماعة إلا من نديت له كفه ، وانباع إليه عرفه[3] فلما نجحت بغيته ، وكملت مائته ، أخذ يثنى عليهم بصالح ، ويشمر عن ساق سارح[4] ، فتبعته لأستعرف ربيبة خدره ، ومن قتل فى حدثان أمره ، فكأن وشك قيامى ، مثل له مرامى ، فازدلف منى ، وقال : افقه عنى[5] :

---

(١) صابون الهم : الخمر أو النبيذ قال الشاعر :

وكنت إذا الحوادث دنستنى نزعت إلى المدامة والنديم
لأننى بالكؤوس الهم عنى لأن الراح صابون الهموم

ويجوز أن يكون مراده من صابون الهم : الذهب فإنه يغسل هم الفقر ، المضنية : المتعبة المهزلة .

(٢) يقتنى : يدخر ، تضوع رياه : تنتشر رائحته ، الأدعية : جمع دعاء

(٣) نديت كفه : أى رشحت بالعطـــاء ، انباع إليه عرفه : العرف المعروف ، وانباع إليه أى وصل إليه، من البوع وهو مد الباع، أو من الباع وهو العطاء والكرم .

قال العجاج :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

أى إذا تسابقوا إلى الكرم سبقهم هذا الكريم الذى يذكره .

(٤) نجحت بغيته : تسهلت وحصلت ، والبغية : المطلوب ، وقوله : (يشمر عن ساق) : أى يجتهد ، والسارح : الذاهب ، من سرحت الماشية إذا ذهبت إلى المرعى .

(٥) الربيبة : بنت الزوجة يربيها زوج أمها ، الخدر : البيت ، وأصله =

قتل مثلى - ياصاح - مزج المدام ليس قتلى بلهذم أو حسام

والتى عنست هى البكر بنت ال
كرم ، لا البكر من بنات الكرام

ولتجهزها إلى الكاس والطا س قيامى الذى ترى ومقامى

فتفهم ما قلتـــه وتحكم
فى التغاضى - إن شئت - أو فى الملام[1]

ثم قال : أنا عربيد ، وأنت رعديد ، وبيننا بون بعيد . ثم ودعنى وانطلق ، وزودنى نظرة من ذى علق[2] .

= الهودج. حدثان أمره : أى أول أمره وهى مدة الشبيبة. ووشك قيامى : أى سرعته ومثل له مرامى : أى صور له مطلوبى . ازدلف : قرب . افقه : افهم وزنا ومعنى ، وافقه عنى : فعل أمر بمعنى : احفظ .

(١) اللهذم : السنان الحاد ، والحسام : السيف القاطع ، والكرم : العنب أو شجره ، الكرام : جمع كريم ، وكرام الناس أعزاؤهم وشرفاؤهم ، والكاس : القدح من الزجاج ، ولا يسمى كأسا إلا وفيـــه الشراب ، والطاس : إناء من فضة أو ذهب أوصفر (نحاس) يشرب به ، والتغاضى : الاحتمال .

(٢) عربيد : كثير العربدة ، وهى سوء الخلق فى الشراب ونحوه ، رعديد : جبان . وفى أمثالهم (نظرة من ذى علق) أى من ذى هوى قد علق قلبه بمن يهواها فهو ينظر إليها نظرة ود .

الجو العام للنص :

هذه المقامة واحدة من مقامات (أبى محمد القاسم بن على الحريرى) الخمسين ، ومقامات الحريرى حلقة فى سلسلة المقامات ، التى قصد منشئوها منها : التفاصح باللغة ، والإدلال بثروتهم اللغوية ، وإحياء المفردات التى انقطعت الصلة بها ، وذلك منذ عهد « ابن دريد » الأزدى (٣٢١ هـ)

والمقامات — كما نعلم — قد أصبحت علما — أو اصطلاحا — على جملة الأقوال التى تروى على لسان امرىء متخيل ، يحكى مواقف متخيلة ، وفيها يضع منشئها على ألسنة شخصياته ألفاظا وعبارات ، يتفاصح فيها ، ويضمنها الحكم والأمثال والأشعار ، ويسوق فيها ألوان « البديع » المطبوعة والمصنوعة .

ملخص النص :

يحكى الراوى أنه مر على ناد فى شيراز ، فالتمس فيه الفكاهة والحديث الحلو بين المنتدين ، وبينما هم كذلك إذ دخل عليهم شيخ رقيق الحال ، فصيح اللسان ، فلم يعره القوم أول الأمر انتباههم ، وازدروه لرثاثته . وقعد الشيخ صامتا وهم يتكلمون ، حتى عرف أقدارهم البيانية ، فتكلم ، وأظهر مقدرة فى البيان فائقة ، ونقلهم من حال الزراية عليه إلى حال الإعجاب به ، وفى الوقت الذى أظهر فيه الرغبة فى مفارقتهم تعلقوا به واستطاعوا أن يثنوه عن الرحيل عنهم وينزل عند رجائهم ، ولكنه أبدى صمتا وبكاء .

نظر الراوى إلى الرجل نظرة فاحصة ، وتبين له أنه أبو زيد السروجى عينه ، متنكرا .

ولما أدرك هذا قرب انكشاف أمره للراوى قص على القوم قصته التى

أوجبت بكاءه ، فقال : إنه كان فى شبابه مغرما بقتل البنات الأبكار حتى شاب ، فتاب ، ولم يكن قد ادخر ليوم المشيب ، وها هو ذا اليوم يستجدى ؛ لينفق على جهاز ابنته المخطوبة ، ويطلب أن يعينوه بمائة دينار (أو درهم) وبقينة تخدمها ، فإن يعينوه يطمئن باله ويذهب الهم عنه ، وينصرف ثناؤه ودعاؤه إليهم ، ماداموا أهل إحسان وكرم .

أسرع القوم لمعونته ، وشكرهم الشيخ ، وتمدح صنيعهم به .

قال الراوى : إنه تبع الشيخ ليكشف أمره ، ولكن الشيخ الفطن عاجله ؛ يفسر له الموقف ، فما أزهق قبل بكرا ، وإنما قتل خمرا ، وعانسه ليست من بنات حواء ، وإنما هى من بنات الكرم ، وقد سعى فى الحصول على المال ليضمن استدامة حظه منها وينفق على شربها . واعترف بأنه عربيد ، ولكنه اتهم الراوى بالجبن ، ثم ودعه وانصرف عنه محبوبا .

النقد :

أولا : ـ سارت مقامات الحريرى فى الإطار الذى سارت فيه مقامات بديع الزمان الهمذانى ، فكلاهما بنى معظم مقاماته على الكدية (التسول) عن طريق الأدب والظرف والنوادر والملح ، وإظهار قوة العارضة ، وخفة الظل ، وسعة الحيلة فى تغفل الناس . كذلك جعل كلاهما مقاماته مناقلة بين الراوية ، والبطل : المستجدى ، وصاحب الوقائع ، وكذلك اعتمد كلاهما على التحسين البديعى .

وقد اعترف الحريرى ـ فى تقديم مقاماته ـ للبديع بالسبق ، وأنه كان إمامه وقدوته .

ثانيا : ـ والفرق بين مقامات الرجلين ـ يبدو لمن يطلع عليها ـ فى أن

مقامات البديع فى الجملة لم تغرق فى الغريب ، ولم تصنع محسناتها صنعا . وإنما تركت تجىء عفو الخاطر وغير متكلفة.

أما مقامات الحريرى فقـــد احتفلت بالألفاظ الغريبة ، وأظهرت عنايته بالتلاعب بالألفاظ . وبألوان البديع المصنوعة ، وتضمين الأشعار والأمثال .

وإذا كانت مقاماتهما تمثل فيهما وطريقة كليهما الأسلوبية ، فهما أيضاً يمثلان عصريهما ، فبديع الزمان (٣٥٣ — ٣٩٨ هـ) من أدباء القرن الرابع الهجرى ، الذين أتيح لهم حظ من صفاء الفكر واستيعاب المعانى وحسن عرضها . وأتيح لهم قدر صالح من الأسلوب الطلى ، الموشى بما يزينه من سجع ومزاوجة وجناس وطباق ، بحيث تأتى زينة حالية ، وتبدو طبيعية غير متكلفة .

والحريرى (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) من أعلام القرن السادس الهجرى عاش فى عصر قلت فيه الرغبة فى الأدب ، ونقصت الطاقات الفنية ، فتورط أهل العصر فى التزام السجع الملح ، وفى إغراق كتاباتهم بألوان البديع ، فتبدو متكلفة مصنوعة ، ومجلوبة غير مطبوعة .

ثالثاً : — خذ مثلا من مقامات البديع ، مطلع المقامة الكوفية . وفيها يقول :

« حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت وأنا فى السن أشد رحلى لكل عماية ، وأركض طرفى إلى كل غواية ، حتى شربت من العمر سائغه ، ولبست من الدهر سابغه ، فلما أن صاح النهار بجانب ليلى ، وجمعت للمعاد ذيلى ، وطئت ظهر المروضة(١) ، لأداء المفروضة ، وصحبنى فى الطريق رفيق لم

(١) المروضة : الدابة المذللة السهلة القياد .

أنكره من سوء ، فلما تجالينا ، وخبرنا بحالينا ، سفرت القصة عن أصل كوفى ، ومذهب صوفى ، وسرنا ، فلما أحلتنا الكوفة ملنا إلى داره ودخلناها .. » الخ .

ووازنها بمقامة الحريرى تجد واضحا الفرق بين الرجلين ، واختلاف ما بين العصرين . وإذا اطلعت على ألاعيب الحريرى بان لك الفرق أوضح وأبين .

ففى المقامة المراغية: رسالة تعاورت كلماتها ما بين لفظ مهمل (خال من النقط) ولفظ معجم (منقوط) ؛ كقوله : « الكرم — ثبت الله جيش سعودك — يزين ، واللؤم - غض الدهر جفن حسودك - يشين .. » الخ .

وفى المقامة المغربية : عبارات تقرأ طردا وردا ، مثل : « فابتدر لمحتى، صاحب ميمنتى ، وقال : (لم أخا مل) ، وقال ميامنه : (كبر رجاء أجر ربك) ، وقال الذى يليه : (من يرب إذا بريتم) ، وقال آخر : (سكت كل من نم لك تكس) ... الخ .

وفى المقامة القهقرية : رسالة من « مائتى لفظة تحتوى على أدب وعظة » تقرأ من أولها بوجه ومن آخرها بوجه ، وهذه نهايتها : « ودفع الأعداء بكف الأوداء ، وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء ، وتبصر العواقب يؤمن المعاطب ، واتقاء الشنعة ينشر السمعة ، وقبح الجفاء ينافى الوفاء ، وجوهر الأحرار عند الأسرار . فمن ساقها هذا المساق ، فلا مراء ولا شقاق ، ومن رام عكس قالبها ، وأن يردها على عقبها ، فليقل : الأسرار عند الأحرار ، وجوهر الوفاء ينافى الجفاء ، وقبح السمعة ينشر الشنعة ... » الخ .

وبلغ من ألاعيبه أنه كتب رسالتين ، سميت إحداهما (الرسالة السينية) ، وسميت الأخرى (الرسالة الشينية) ؛ لأن فى كلمات الأولى كلها حرف السين ،

وفى كلمات الأخرى جميعها حرف الشين ، بما فى ذلك الشعر ، الذى يبلغ مجموعه فى الأولى ثمانية أبيات وفى الأخرى أحد عشر بيتاً(١)

رابعاً : ـ لانستطيع أن نعتبر المقامات عملا قصصيا بالمعنى الذى نعرفه اليوم ، وإنما فيها إرهاص للقصة ، ولعلنا لانعدو الحق حين نتصور فيها مواقف مسرحية ساذجة ، فالذى اطلعت عليه من المقامة الشيرازية يصور موقفا مسرحيا ـ بمعنى أنه صالح لأدائه على المسرح لا أنه صنع له ـ ولك أن تشاهده على الوجه الآتى :

ـ جماعة فى ناد يتضاحكون ويتفاكهون ويتنادرون .

ـ دخل عليهم رجل من أيمانهم ، واندمج فيهم .

ـ دخل عليهم شيخ زرى من شمائلهم ، فأحسوا منه نفرة ، وأحسها هو منهم ، فاقتعد جانبا واحتبى .

ـ مضت الجماعة فيما هم فيه ، وجعلوا يتغامزون بالشيخ .

ـ مضت مدة يرقبهم فيها الشيخ ويتعرف أدبهم .

ـ فاجأهم الشيخ بمنطق خلاب ، بهرهم وانتزع إعجابهم .

ـ رأى الشيخ ما أشعره بالزهو فاصطنع رغبته فى فراقهم .

ـ تعلقوا به واستمهلوه ليفيدوا منه وهو يتمنع .

ـ قبل البقاء . ولكنه حول الجو إلى مناحة .

ـ فى إحدى الزوايا كانت عين الراوى فاحصة قد عرفت الشيخ المتنكر .

---

(١) طالعهما فى ذيل المقامات .ص٦٠٤ وما بعدها ،ط .الحسينية المصرية سنة ١٣٢٥ هـ

- تهيأ القوم لمعرفة سبب مايبكى الشيخ

- حكى لهم حكايته : كان مجرماً سفاكا ، ولما تاب لم يكن لديه صنعة وابنته الآن بحاجة إلى تجهيزها عروساً ، فهو يلجأ إليهم ليعينوه .

- سرعان ماتبارى القوم فى سد حاجته .

- لما قضى أربه وهم بالانصراف لمح بعين الصقر دخيلة الرجل(الراوى)

- انحاز الشيخ إليه وأقنعه أنه إنما احتال على القوم .

- وغادر المجلس وفى النفوس منه هوى .

ونحن ندعو إلى أن تعرض المقامات عرضاً مسرحياً لنتبين أن العرب عرفوا المواقف المسرحية وألفوا فيها .

خامساً : - ونحن نرفض ماعيبت به المقامات من أنها متوحدة المغزى فلا تدور إلا حول اكتساب المال بطرق خسيسة كالشحاذة والاستجداء . فإن النظام الطبقى الذى كان سائدا منع الأدباء من أن يصرحوا بالرأى ويجهروا بالعيب ، فإذا لجأوا إلى مثل أسلوب المقامات فإنما ليقوا أنفسهم بطش الباطشين ويأمنوا شرهم ، وليجعلوا أعمالهم الأدبية أسيرحين يتاح لها أن تدخل بيوت ذوى السلطان ومجتمعاتهم ونواديهم .

سادسا : — ومن النواحى اللفظية :

(ا) نجد الحريرى احتفل بالجناس والمزاوجة والطباق وسائر المحسنات احتفالا عظيما ، فلا تخلو جملة من حلية لفظية ، وإن أسهمت فى تشكيل المعنى بشكله ، الذى أراده الحريرى من سياقه .

(ب) فى عبارته (تأملت الشيخ على سهومة محياه،وسهوكة رياه ،فإذاهو إياه) جرى الحريرى - وهو بصرى - على مذهب نحاة الكوفة ، الذى يعتمد على رواية أبى زيد الأنصارى أنه حكى عن العرب : (كنت أظن أن

العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها) ، والمناظرة التى جرت بين سيبويه والكسائى حول هذه المسألة فى مجلس يحيى بن خالد البرمكى مناظرة مشهورة ، وسيبويه يرى أن القياس (فإذا هو هى) والكسائى يرى أن الوارد (فإذا هو إياها) ولقد يعنى الحريرى من اتباعه غير القياس أنه أراد أن يأتى بالسجعة الثالثة فى عبارته .

(ج) عاب (ابن الخشاب البغدادى)(١) العبارة الأخيرة فى المقامة ، فقال : إنه يعطى فيها خلاف المقصود ، لأن قولهم : (نظرة من ذى علق) فسره اللغويون فقالوا : معناه نظرة من ذى هوى قد علق قلبه من يهواه بقلبه ، وقال الأصمعى : نظرة من ذى علق - مثل يضرب للرجل يرى الشىء يحبه ، فيجتزىء عن معرفته بقليل ، وقد دافع (ابن برى) عن الحريرى ، فقال : إنه أراد أنه أودع قلبى حرقاً لم تكن فيه وذلك بسبب مفارقته وزودنى نظرة من ذى هوى وعشق فصار عاشقا بعد أن لم يكن كذلك ، وسبب ذلك مفارقته التى أوجبت له أن صار ذا نظرة من ذى هوى لمن فارقه ، ولو كان المعنى ما قاله ابن الخشاب لكان الصواب أن يقول : وزودته نظرة من ذى هوى .

---

(١) راجع رسالة الانتقاد الملحقة بالمقامات ص ٢٦ - المطبعة الحسينية - ١٣٢٥ هـ .

لامية العجم للطغرائى

الشاعر : صاحب النص هو «أبو إسماعيل الحسين بن على الأصبهانى المعروف بالطغرائى » نسبة إلى « الطغراء » وهى كلمة أعجمية معناها (الطرة) وهى ما تكتب فى أعلى الكتاب فوق البسملة بخط معلق، فيها نعوت السلطان الذى يصدر عنه الكتاب ، وكان السلاجقة قد اتخذوها ، نقلا من كتاباتهم التركية الأولى .

عمل فى خدمة آل سلجوق الذين استولوا على أطراف الدولة العباسية فى أخرياتها ، ووزر للسلطان مسعود السلجوقى بالموصل ، فلما انتقلت السلطنة إلى أخيه محمود اعتقل الطغرائى زمنا ، ثم قتله بدعوى الإلحاد سنة ٥٥٤ هـ .

وهذه اللامية أنشأها الطغرائى سنة ٥٠٥ هـ فى بغداد ؛ بغرض شرح حاله ، وشكوى الزمان وأهله .

وسميت هذه القصيدة (لامية العجم) كما سميت قصيدة « الشنفرى » : (لامية العرب) ، ومطلعها :

أقيموا - بنى أمى - صدور مطيكم   فإنى إلى قوم سواكم لأميل

النص :

١ — أصالة الرأى صانتنى عن الخطل   وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

٢ — مجدى أخيرا ومجدى أولا شرع ،   والشمس راد الضحا كالشمس فى الطفل

---

١ — أصالة : مصدر أصل (من باب ضخم) أى صار ذا أصل قوى ، وأصيل الرأى : محكمه . الرأى : النظر بالفكر فى مبادىء الأمور وعواقبها . الخطل : العوج . العطل (بفتحتين) : الخلو من الزينة .

٢ — المجد : الشرف ، وصاحبه ماجد ومجيد ويجمع المجد على مجود =

٣ — فيم الإقامة بالزوراء ، لا سكنى
بها ، ولا ناقتى فيها ولا جملى ؟!

٤ — ناء عن الأهل ،صفر الكف، منفرد ،
كالسيف ، عرى متناه عن الخلل

٥ — فلا صديق إليه مشتكى حزنى،
ولا أنيس إليه منتهى جذلى

٦ — طال اغترابى ، حتى حن راحلتى ، ورحلها ، وقرا العسالة الذبل

٧ — وضج من لغب نضوى،وعج لما ألقى ركابى ، ولج الركب فى عذلى

= والماجد على أمجاد .وشرع (بفتحتين ويسكن) : بمعنى سواء ، ويستوى فيه الواحد وغيره والمذكر والمؤنث . الراد : أول النهار . الطفل :آخر النهار .

٣ — الزوراء : من أسماء بغداد ، وسميت بذلك لازورار قبلتها أى انحرافها . السكن : ما يسكن إليه الإنسان من أهل أو دار أو مال .

٤ — ناء : بعيد . صفر : خال . متنا السيف:جانباه . الخلل (بكسر ففتح) : جمع خلة (مكسورة الخاء) وهى بطائن منقوشة تغشى بها أغماد السيوف .

٥ — الحزن (بفتحتين) الألم والغم كالحزن (بضم فسكون) . الجذل (بفتحتين) : الفرح .

٦ — الراحلة : فاعلة بمعنى مفعولة وهى ما يعده الإنسان لوضع الرحل عليه وهو القتب ونحوه مما يجعل على ظهر البعير ، وتطلق على الذكر والأنثى ولهذا ذكر الفعل لها ، ثم أعاد الضمير فى(رحلها)مؤنثا بحسب مواتاة النظم. القرا (بفتحتين) : الظهر . العسالة والذبل : كلاهما وصف للرماح والواحد عسال (وزان شداد) وذابل ، وسمى الرمح عسالا لعسله أى اهتزازه واضطرابه ، وسمى ذابلا لأنه يشبه الغصن الجاف اللين .

٧ — ضج وعج : كلاهما بمعنى رفع الصوت . اللغب (محركا): الاعياء من سير أو عمل . النضو (بكسر فسكون) : البعير المهزول وجمعه أنضاء =

٨ — أريد بسطة كف أستعين بها على قضـــاء حقوق للعلا قبلى

٩ — والدهر يعكس آمالى ، ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل

١٠ — وذى شطاط كصدر الرمح ، معتقل
بمثله ، غــير هياب ، ولا وكل

١١ — حلو الفكاهة ، مر الجد ، قد مزجت
بشـــدة البأس منه رقة الغزل

١٢ — طردت سرح الكرى عن ورد مقلته ،
والليل أغرى سوام النوم بالمقل

= الركاب : الإبل التى يركب عليها واحدتها ركيبة أو راكبة بمعنى مركوبة. لج : تمادى. الركب : راكبو الإبل خاصة واحده راكب مثل صحب وصاحب . العذل (بفتحتين) : اللوم

٨ — البسطة : السعة . العلا (بالضم): جمع علياء وهى الخصلة المحمودة. قبلى (بكسر ففتح) : جهتى فهو ظرف مكان . الكد : التعب والإعياء.

٩ — القفل (بفتحتين) : الرجوع من السفر .

١٠ — وذى شطاط : الواو واورب ، والشطاط (وزان سحاب) : اعتدال القامة . معتقل : الرمح يعتقل إذا وضع الفارس زجه بين ركابه وساقه ناصباً له ممسكا لوسطه بيده . الهياب: مبالغة فى الهائب، وهو الجبان ، الوكل (بفتح فكسر) : العاجز الذى يكل أموره إلى غيره .

١١ — الفكاهة : المزاح وطيب النفس . البأس : الشجاعة . الغزل : محادثة النساء وذكر أوصافهن المحمودة .

١٢ — السرح : أصله المال السائم، والماشية سارح أى سائمة فى المرعى. الورد (بكسر فسكون) هو الورود . المقلة : شحمة العين التى تجمع السواد والبياض ، وجمعه مقل . سوام : جمع غير قياسى لسائمة والقياس سوائم .

١٣ — والركب ميل عن الأكوار، من طرب
صاح ، وآخر من خمر الكرى ثمل

١٤ — فقلت : أدعوك للجلى ؛ لتنصرنى ،
وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل

١٥ — تنام عنى وعين النجم ساهرة ، وتستحيل وصبغ الليل لم يحل

١٦ — فهل تعين على غى هممت به ؛
والغى يزجر أحيانا عن الفشل

١٧ — إنى أريد طروق الحى من إضم ؛
وقد حماه رماة من بنى ثعل

---

١٣ — ميل (بكسر الميم) : مائلون. الأكوار : جمع كور (بفتح فسكون) وهو الرحل . من طرب : من بمعنى بين ، وطرب (بفتح فكسر) : صفة الذى به طرب . وهو الخفة عند الفرح : ثمل : صفة من يثمل . والثمل ثقل الأعضاء عند استحكام السكر .

١٤ — الجلى : فعلى مؤنث الأجل وتطلق على الأمر العظيم . والجلل: وصف الحقير والعظيم — ضد — ومراده المعنى الأول .

١٥ — حال يحول : تغير عن طبعه ووصفه، ومثله استحال يستحيل فى بعض استعمالاته كما هنا . الصبغ : (بالكسر) ما يصبغ به ، (وبالفتح) مصدر صبغ (من باب منع ونصر وضرب) .

١٦ — الغى : الضلال : يزجر : يمنع وينهى . الفشل : الجبن وضعف الرأى واختلال التدبير .

١٧ — طروق الحى : المجىء إلى الحى ليلا ، والحى هنا أحد أحياء العرب وهم النازلون بمكان سمى بذلك لأنه يحيا بهم . إضم (بكسر ففتح) : واد أو جبل بأرض المدينة . ثعل (بضم ففتح): بطن من « حى » مشهورون بجودة الرمى ، وثعل علم معدول عن ثاعل فهو ممنوع الصرف أصلا ، وقد صرفه لحركة الروى .

١٨ — يحمون بالبيض والسمر اللدان به
سود الغدائر ، حمر الحلى ، والحلل

١٩ — فسر بنا فى ذمام الليل معتسفا ؛
فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل

٢٠ — فالحب حيث العدا والأسد رابضة
حول الكناس . لها غاب من الأسل

٢١ — نؤم ناشئة بالجزع ، قد سقيت نصالها بمياه الغنج والكحل

---

١٨ — البيض : السيوف . والسمر : الرماح ، وكلاهما وصف فى الأصل . اللدان : جمع لدن (مثل صعب وصعاب) واللدن اللين . الغدائر : ضفائر الشعر . الحلى : ماتتحلى به المرأة من أنواع الذهب والفضة . الحلل (بضم ففتح) : جمع حلة وهى ما يلبس من الثياب ، ولا يقال حلة إلا للثوبين فأكثر .

١٩ — الذمام : فى الأصل العهد . معتسفاً : سائراً فى غير طريق من غير دليل . نفحة الطيب : نشره أى انتشار رائحته ، الحلل (بكسر ففتح) : جمع حلة (بالكسر) وهى البيت .

٢٠ — الحب (بالكسر) : الحبيب . العدا : جمع غير قياسى لعدو . الكناس (بكسر الأول) : جحر الظبى . الغاب : الشجر الكثير الملتف ومسكن الأسد بين هذا الشجر . الأسل (بفتحتين) : الرماح سميت بذلك لدقة أطرافها ، وأصل الأسل نبات يتخذ منه الحصر شبهت به الرماح .

٢١ — نؤم : نقصد . الناشئة : الفتية والفتيات . الجزع (بالكسر) : منعطف الوادى ، النصال : جمع نصل وهو حديدة السيف والرمح والسهم ما لم يكن له مقبض ، ونصالها أى نصال منها الناشئة . الغنج : ملاحة العينين والدل والغزل . الكحل (بفتحتين) : السواد الطبيعى يعلو جفون العين .

٢٢ — قد زاد طيبَ أحاديث الكرام بها
ما بالكرائم من جبن ومن بخل

٢٣ — تبيت نار الهوى منهن فى كبد
حرى ، ونار القرى منهم على القلل

٢٤ — يقتلن أنضاء حب لاحراك بهم ،
وينحرون كرام الخيل والإبل

٢٥ — يشفى لديغ العوالى فى بيوتهمو
بنهلة من غدير الخمر والعسل

٢٦ — لعل إلمامة بالجزع ثانية
يدب منها نسيم البرء فى علل

---

٢٢ — الكرام : جمع كريم ، والكرائم : جمع كريمة ، وأصل الكرم السخاء . الجبن (بضم فسكون) ضد الشجاعة . البخل (بفتحتين) : الشح والإمساك كالبخل (بضم فسكون) .

٢٣ — كبد حرى : حارة ، القرى : الضيافة. القلل : جمع قلة (بالضم) وهى رأس الجبل ، وقلة كل شيء أعلاه .

٢٤ — أنضاء الحب : المهزولون منه والواحد نضو ، لاحراك بهم : الباء للظرفية .

٢٥ — يشفى : مضارع مبنى للمجهول من الشفاء ، اللديغ : الملدوغ ، العوالى : الرماح الطوال ، وأراد منها القدود على سبيل التشبيه ، النهلة : الشربة الواحدة ويسمى الشراب الأول نهلا والتالى عللا ، الغدير : القطعة من الماء يغادرها السيل ، ومراده من الخمر والعسل ريق الثنايا .

٢٦ — الإلمامة : المرة من الإلمام مصدر ألم بالشيء إذا قاربه. الجزع : (بالكسر) منعطف الوادى ، العلل : جمع علة ، وهى السقام .

٢٧ — لا أكره الطعنة النجلاء ، قد شفعت
برشقة من نبال الأعين النجل

٢٨ — ولا أهاب الصفاح البيض ؛ تسعدنى
باللمح من خلل الأستار والكلل

٢٩ — ولا أخل بغزلان ، تغازلنى ،
ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل

٣٠ — حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ، ويغرى المرء بالكسل

---

٢٧ — نجل (من باب فرح) : اتسع ، والطعنة النجلاء الواسعة الشق ، والعين النجلاء الواسعة وجمعها نجل (مثل حمراء وحمر) وحركها فى البيت إتباعاً لإقامة الوزن . شفعت : جعلت شفعاً ، والشفع الزوج ، أى أنها كانت فرداً فصيرها شفعاً ، الرشقة : المرة من الرشق وهو الرمى .

٢٨ — الصفاح من السيوف : العراض . اللمح : اختلاس النظر . خلل الأستار (والخلل بفتحتين) وخلالها : أى ما يكون بين أطوائها من ثقوب خفيفة تسمح باختلاس النظر ، الكلل (بالكسر) : جمع كلة (بالكسر أيضا) وهى ستر يحاط به البيت كالسور .

٢٩ — أخل : مضارع أخل ، يقال : أخل الرجل بكذا تركه ولم يأت به ، أو قصر فيه ، الغزلان : جمع غزال وهو ولد الظبية ذكراً كان أو أنثى تغازلنى : المغازلة محادثة النساء ، دهتنى : أصابتنى . الغيل (الأول) (بكسر فسكون) . موطن الأسود وهو الأجمة أو الغاب كما سبق فى شرح البيت العشرين ، الغيل (الثانى) (بكسر ففتح) : جمع غيلة وهى الاغتيال والخديعة ، ومنه قولهم : (قتله غيلة) .

٣٠ — يثنى : مضارع ثنى أى يعطف ويميل ، هم صاحبه : عزمه ، =

٣١ — فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً
في الأرض ، أو سلماً في الجو ، فاعتزل

٣٢ — ودع غمار العلا للمقدمين على
ركوبها ، واقتنع منهن بالبلل

٣٣ — يرضى الذليل بخفض العيش مسكنة ،
والعز عند رسيم الأينق الذلل

= ويقال هم بالشيء هما أي قصده وعزم عليه . يغرى : مضارع أغرى إغراء أي يلزمه ذلك ، وأصل الإغراء إلصاق الشيء بالشيء .

٣١ — جنحت : ملت (وجنح من باب منع وقعد وجلس) . النفق (بفتحتين) : الشق في الأرض ويكون مدوراً ، فإن كان مستطيلا سمي سربا .

٣٢ — الغمار : جمع غمرة (مثال جمرة وجمار) ، وأصلها الماء الكثير الذي يغمر ما فيه أي يستره ويواريه ، ثم قيل لكل شدة تغمر الفكر : غمرة ، ومنه غمرات الموت . المقدم : اسم فاعل من أقدم على الأمر أي دخل فيه بجرأة .

٣٣ — خفض العيش : ما جاء منه في سهولة ، وأصل الخفض الوضع وضده الرفع . مسكنة : ذلا وهوانا وضدها العز . رسيم الأينق : ضرب من سيرها والأينق جمع ناقة ، وفي الجمع قلب مكاني ، والرسيم من رسمت الإبل (من باب قعد وجلس) إذا أسرعت في سيرها . الذلل : (بضمتين) : جمع ذلول ، من الذل (بالكسر) وهو السهولة ضد الصعوبة ، أما الذل (بالضم) فهو المهانة ضد العز ـ كما سبق .

٣٤ — فادرأ بها فى نحور البيد جافلة
معارضات مثانى اللجم بالجدل

٣٥ — إن العلا حدثتنى — وهى صادقة
فيما تحدث — أن العز فى النقل

٣٦ — لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى
لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل

---

٣٤ — ادرأ بها : ادفع بها . البيد : جمع بيداء وهى المفازة. جافلة : مسرعة، وأصل الجفول النفور والشراد . معارضات: مقابلات. يقال عرضه أى قام فى جانبه . وجانب كل شىء يسمى عرضه (بالضم). مثانى : جمع مثنى بتشديد الياء، والحبال تثنى إذا جمع بين أطرافها . اللجم (بضمتين ، وسكن للوزن): جمع لجام وهو زمام الفرس . الجدل (بضمتين) :جمع جديل وهو زمام الجمل من الأدم ، والحبل المجدول المفتول فتلا محكماً .

٣٥ — النقل (بضم ففتح) : جمع نقلة وهى الانتقال من مكان إلى مكان .

٣٦ — المأوى : المحل ، وأصله ما يأوى إليه الإنسان وغيره ليلا . المنى: جمع منية (بالضم مخففا)وهى ما يتمناه الإنسان . لم تبرح :لم تفارق . الحمل : (بفتحتين) : أول بروج الشمس ، ويأتى فى أول الربيع .ودارة الحمل فلكه ، وليس للحمل دارة فالدارة:(وهى الدائرة المستديرة حول الكوكب) للشمس وتسمى الطفاوة ، وللقمر وتسمى الهالة ، ولعله أراد دارة الشمس فى الحمل فتكون من إضافة الشىء إلى ظرفه كما فى قوله تعالى : « بل مكر الليل والنهار ».

٣٧ — أهبت بالحظ ـ لو ناديت مستمعاً ـ
والحظ عنى بالجهال فى شغل

٣٨ — لعله إن بدا فضلى ونقصهمو
لعينه نام عنهم ، أو تنبه لى

٣٩ — أعلل النفس بالآمال ، أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل !

٤٠ — لم أرتض العيش والأيام مقبلة
فكيف أرضى وقد ولت على عجل ؟!

٤١ — غالى بنفسى عرفانى بقيمتها ؛
فصنتها عن رخيص القدر مبتذل

---

٣٧ — أهبت بالحظ : ناديته ، وأصله من أهاب الراعى بغنمه إذا صاح بها لتقف وهو يقول لها : (هاب هاب) . والحظ النصيب واستعمل فى قوة البخت .

٣٨ — لعله : الضمير يعود على الحظ .

٣٩ — أعلل النفس بالآمال : أسليها بها ، يقال : علله بكذا عن كذا إذا ألهاه تسلية له . أرقبها : أنتظرها والضمير للآمال . فسحة الأمل : سعته ، والأمل : الرجاء وجمعه آمال .

٤٠ — ارتضى العيش ورضيه بمعنى ، وقد استعملهما فى البيت وإن كان حذف مفعول الثانى .

٤١ — غالى بنفسى : ارتفع بها ، من غالى بالشىء أى طلب له الغلاء ، وغلاء السعر ارتفاعه وزيادته . عرفانى : فاعل غالى ، والعرفان المعرفة . والمبتذل (بصيغة المفعول) : المهان المحتقر .

٤٢ — وعادة النصل أن يزهى بجوهره ،
وليس يعمل إلا فى يدى بطل

٤٣ — ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى ،
حتى أرى دولة الأوغاد والسفل

٤٤ — تقدمتنى أناس كان شوطهمو
وراء خطوى ، ولو أمشى على مهل

٤٥ — هذا جزاء امرىء ، أقرانه درجوا
من قبله ، فتمنى فسحة الأجل

٤٦ — فإن علانى من دونى فلا عجب !
لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

---

٤٢ — النصل : السيف . يزهى (بالبناء للمفعول) : يعجب . جوهره : جوهر النصل حديدته التى طبع منها ، وهى أصله ، وجوهر كل شىء أصله .

٤٣ — أوثر : أختار . الدولة : أصلها المرة من قولهم : أدالهم الدهر : أى جعل لهم النوبة من الاستيلاء والغلبة . الأوغاد : جمع وغد ، وهو الساقط الهمة . السفل (بكسر ففتح) : جمع سفلة (بكسر فسكون) : وهم أراذل الناس .

٤٤ — الشوط : فى الأصل أشد حركة الفرس وقد يسمى الطلق .

٤٥ — الأقران : الأكفاء واحدها القرن (بالكسر) وهو كفؤك فى الشجاعة ، أو هو الشجاع على العموم . درجوا : هنا بمعنى مضوا عنه بموت ، أو غيره .

٤٦ — أسوة (بضم الهمزة وكسرها) : قدوة . زحل : سابع الأفلاك السبعة السيارة ، وهو أعلاها وأبعدها ، وترتيب الأفلاك ، هكذا =

٤٧ — فاصبر لها غير محتال ولا ضجر،
في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

٤٨ — أعدى عدوك أدنى من وثقت به،
فحاذر الناس واصحبهم على دخل

٤٩ — وإنما رجل الدنيا وواحدها:
من لا يعول في الدنيا على رجل

٥٠ — وحسن ظنك بالأيام معجزة
فظن شرا وكن منها على وجل

٥١ — غاض الوفاء وغاض الغدر وانفرجت
مسافة الخلف بين القول والعمل

= بحسب القرب من الأرض: القمر — عطارد — الزهرة — الشمس — المريخ — المشترى — زحل.

٤٧ — فاصبر لها: الضمير يعود على حوادث الدهر، وهي مفهومة مما سبق.

٤٨ — أدنى: هنا بمعنى أقرب. على دخل: أي معه، والدخل: (بفتحتين) الغش.

٤٩ — يعول: يعتمد، وأصل التعويل أن تبني بناء على جدران غيرك، من قولهم: عال الشيء إذا زاد.

٥٠ — معجزة (بفتح الجيم، أو كسرها): عجز (وبفتحها): سبب العجز كما في الأثر: الولد مبخلة مجبنة، والسواك مطهرة للفم مرضاة للرب.

٥١ — غاض: نقص، انفرجت مسافة الخلف: تباعدت. والخلف (بالضم) الاسم من إخلاف الوعد وهو عدم الوفاء به.

٥٢ — وشان صدقك عند الناس كذبهمو
وهل يطابق معوج بمعتـــدل ؟

٥٣ — إن كان ينجع شيء فى ثباتهمو
على العهود فسبق السيف للعـــذل؟

٥٤ — يا وارداً سؤر عيش ، كله كدر
أنفقت صفوك فى أيامك الأول

٥٥ — فيم اقتحامك لج البحر تركبه
وأنت تكفيك منه مصة الوشل ؟

٥٦ — ملك القناعة لا يخشى عليه ولا
يحتاج فيه إلى الأنصار والخول

---

٥٢ — شانه : ضد زانه. يطابق (بالبناء للمفعول) : يساوى، من المطابقة، يقال : طابق الحذاء بين قطع النعل إذا ساواها على مقدار واحد وألصق بعضها ببعض .

٥٣ — ينجع : ينفع وزنا ومعنى . ثباتهم : بقاؤهم ، والثبات ضد الزوال . العذل : اللوم .

٥٤ — سؤر عيش : بقيته ، والسؤر بقية الطعام ، وبقية الشراب . الأول : جمع الأولى .

٥٥ — الاقتحام : الدخول فى الأمر من غير روية . لج البحر : وسطه ومعظمه ، المصة : المرة من المص بالشفتين . الوشل (بفتحتين) : الماء القليل المجتمع من القطر الضعيف .

٥٦ — الملك (مثلثا) : حيازة الشيء مع القدرة على الاستبداد والانفراد به . الأنصار : الأعوان جمع مسموع لنصير . الخول (بفتحتين) : الخدم وزنا ومعنى ، الواحد خائل .

٥٧ — ترجو البقـاء بدار لا ثبات لها؟

فهـــل سمعت بظل غير منتقل؟!

٥٨ — ويا خبيراً، على الأسرار مطلعاً،

أصمت ، ففي الصمت منجاة من الزلل

٥٩ — قد رشحوك لأمر إن فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمـــل

• • •

---

٥٧ — ترجو البقاء بدار لا ثبات لها : على تقدير الاستفهام الإنكارى والدار التى لا ثبات لها : هى الدنيا .

٥٨ — منجاة : نجاة - مصدر ميمى من نجا ينجو . الزلل : الخطأ .

٥٩ — رشحوك : أى ربوك ورجوك ، يقال : فلان يرشح للوزارة أى يربى بالكمالات ليتأهل لها ، وأصله أن ترشح المرأة ولدها بقليل من شراب اللبن ليتمرن على شربه من غير إجبار. فطنت (مثلثة العين) : فهمت اربأ بنفسك : ارتفع بها ، والرباء والربوة والرباوة المرتفع ، الهمل (بفتحتين) : الماشية لا راعى لها .

جزئيات النص :

(١ — ٩) : بدأ الشاعر فاخرا بأصالة رأيه ، التى تصونه عن خطل القول والفعل ، وبفضله الذى زينه عند التجرد من مجد الدنيا ، وأنكر على نفسه أن يرضى الإقامة فى بغداد ، ولم تعد تصلح له مقاما ، بعد أن ولى الناس عنه ، وتركوه وحيدا . وتذكر أنه قد طال اغترابه ومواصلته الأسفار ، فى سبيل المال ، الذى كان يستعين به على قضاء حقوق ذوى الحق عليه ، ولكن زمانه يقنعه الآن بالأوبة ، بعد طول العناء .

(١٠ — ١٥) : تذكر صاحبا له أريبا ، ذا شجاعة وبأس ، وفكاهة ومزاح ، فهو يلبس لكل حال لبوسها ، وقدر أنه كان ينبغى أن يقف اليوم إلى جواره فى محنته ، ولكن صاحبه خذله ، وتركه للهموم الساهرة المؤرقة ، فهو ينكر على صاحبه هذا موقفه ، وإن كان ما يزال يطمع فى أن يعينه على ماهو بصدده .

(١٦ — ٢٩) : انفلت الشاعر إلى الغزل . وبثه واحدة من بنات (الحى) ، فتجمل وتعاطى رقيق الكلام ، وصمم على غزله ، فهو سار فى ذمة الليل إليها ، تهديه نفحات طيبها ، وهى ما تزال بعد بين صواحبها ، محصنات مصونات يسبين الغاشئة بالدل والكحل ، ولكن فيهن جبنا إلى لقاء أمثاله ، فى مقابلة شجاعة حماتهن وجرأتهم ، ولكن فيهن بخلا بالمودة والوصال ، فى مقابلة كرمهم وسخائهم . وإنه ليلتذ السعى إلى محبوبته ، ولو ناشته سيوف هؤلاء الحماة ، فما يبالى إلا طعنات الأعين النجل ، يلمحها على البعد ، أو من خلل الأستار ، وإنه لساع إليها ، ولو أورده سعيه المعاطب .

(٣٠ — ٣٩) : وعن السعى فى سبيل المعالى – على العموم – يحث عليه وعلى طلب هذه المعالى ، فما يحصل المجد والعز والجاه إلا مع المخاطرة والمغامرة والرحلة والنقلة ، ومن يمل إلى حب السلامة ويؤثر العافية

فليس له مكان بين الناس ، وأولى له أن يعتزلهم . ويقنع بالخمول ويرضى بالهون والذل .

ويضرب لنفسه المثل من الشمس السيارة ، لا تقر فى مكان ؛ لأن فى قرارها ذلها . ويتشجع فيطلب إلى نفسه أن تتسع للآمال وترتقب بلوغها ، ولا تشكو من ضيق العيش ، وتحامل الزمان على أهل الفضل .

(٤٠ — ٤٥) : وحين شعر بحال من الطمأنينة وأحس من نفسه جانبا قويا ؛ جعل يفخر ، فنفى رضاه عن العيش والأيام فى شبابه وماضيه ، وأنكر أن يعقد مثل هذا الرضا فى مشيبه ومقبل أيامه ؛ لأنه يعرف قيمة نفسه ، فهو يصونها عن كل رخيص ، على الرغم مما يراه من تقدم أناس عليه كان هو سابقهم ، وذلك لأنه اصطنع العزازة . فتأخر به زمانه ، وطمع فى فضل العمر وفسحة الأجل حين اخترم أقرانه ، فإذا هو بين من لا يقدرون قدره ، فأخروه ، وقدموا عليه الجهال .

(٤٦ — ٥٣) : وعاد يؤكد شكواه السابقة ، بتسلية نفسه عما لقى من الزمان وجوره ، ودعاها أن تترك القلق والجزع على مافات ، وتدع الاحتيال لما هو آت ، وتنتظر الفرج ؛ فإن الدهر لا يدوم على حال . وأما الناس فيجب أن يحترس منهم ، ويعتقد الغش فيهم ، ولا يعول فى أمر عليهم ؛ فالرجل الكامل من لم يغتر بما يظهر له من الصداقات ، والعاجز من حسن ظنه بالأيام عند إقبالها ، والحازم من ساء ظنه فيها ، فأخذ حذره من انقلابها وانتكاس نعيمها ودلل على مايوجب ذلك بما يشاهد من : نقصان الوفاء ، وكثرة الغدر ، وإخلاف الوعد ، ورفض الصدق ؛ وإذن ينبغى أن يعامل الناس بالرهبة ، ويؤخذوا بالعنف .

(٥٤ — ٥٩) : يكرر معنى عدم اطمئنانه إلى آتى أيامه ، بعد أن أنفق فيما مضى صفو عيشه ، ويعجب وينكر على نفسه أن تعود تفكر فى اقتحام

الأخطار وركوب المشاق ، والدنيا إلى زوال ، فهى لا تستحق التفكير فيها ، وإنه ليكفيه منها قليل الرزق ، وقناعة القلب . واستمرارا فى منطق الزهد : يدعو نفسه إلى الصمت ، ففيه نجاة من كل خطأ ، وإن توهمت نفسه أنها كاسبة من إقبالها على الدنيا وإعلانها عن صاحبها ، فلتقدر هذه النفس أن من يتعاملون معها عوام وهمل ، مهما علت منـــازلهم الاجتماعية ، ومايستحقون ان يخرجوه من دائرته الإنسانية إلى دائرتهم الدنيوية .

أهم الصور :

١ — يصور أصالة رأيه ومجادته ومنزلته الفاضلة دائمة ، على الرغم من ظواهر الأمور . ويتخيل فى ذلك الشمس تستوى فى الميزة والجوهر ، أول النهار وآخره .

٢ — يصور إقامته فى بغداد فى صورة المتفرد المتوحش ، الذى قل ماله ، فانصرف عنه الناس . ويتخيل فى ذلك السيف العاطل من الحلى ؛ لأن أكثر الناس يزدرى السيف مالم يكن عليه غشاء منقوش ، مع أن ميزته فى مضائه لا فى حليته .

٣ — يصور طول غربته فى صورة من يواصل الأسفار ، ويتخيل فى ذلك حنين الرواحل والركب إلى الأوبة ، وحديث الصحبة لو ما له على كثرة السير بهم .

٤ — يصور صاحبته جميلة ، تجمع الحسن من أطرافه ، وطيبة ، وعزيزة الجانب ؛ فشعرها أسود ، وفى عينيها كحل . وفى قولها وفعلها دلال ، وحليها من الذهب الأحمر ، وملبسها من الحرير الأحمر ، ولا تنتقى هـذا اللون إلا ذات البياض ؛ لتزداد به حسنا وإشراقا ، وهى طيبة فى موطنها ، تضوع رياها عليه ، وهى محمية مصونة ، يحميها أهلها ، فليس نوالها سهلا ميسورا لكل طالب .

٥ — يصور من يؤثر السلامة فى صورة: الكسول، المعتزل، المستكين، القانع من الماء بالبلل .

٦ — يصور معرفته بقيمة نفسه فى صورة السيف المزهو بجوهره ، فلا يظهر نفعه إلا لدى عارف بقدره ، وهذا هو البطل العارف بمواقع الضرب منه .

٧ — يصور تقدم غيره من الأراذل عليه فلا يضار بذلك ، فى صورة الشمس . لا يخفض من قدرها ارتفاع (زحل) عليها فى مرأى العين .

٨ — يصور الرغبة فى الإقبال على الدنيا مع كفاية قليل منها ، فى صورة من يقتحم اللج ويركب البحر ، مع أن رشفة من القطر ترويه وتذهب عطشه .

٩ — يصور حيازة الزهد فى صورة إيجابية تجعلها ملكا باقيا، فالزهد قناعة النفس بماقسم ، والقناعة شىء ذاتى ، لا يفارق النفس فى جميع أحوالها، ولا تخشى أن تسلبه ، ولا تحتاج فى استدامته إلى مثل مايحتاج إليه المال أو الملك ؛ من المشقة فى التحصيل ، والمشقة فى الحفاظ عليه ، أو المداراة بالإحسان ، واصطناع الأعوان .

١٠ — يصور الدنيا داراً زائلة ، وفى هذا يتخيلها ظلا ، والظل غير ثابت ، ولا يقوم بنفسه ؛ لأنه دائما يتبع أصله .

النقد :

أولا — الغرض من القصيدة شرح الحال التى كان عليها الشاعر وقت إنشائها ، وشكوى الزمان وأهله . وقد بدأها بداية متصلة بهذا ، وكاد يستمر فيه إلى آخرها ، سوى أنه تخلص من المطلع إلى ذكر صاحبه ، وتخلص

من ذكر هذا الصاحب إلى الغزل ، فأطال ، ثم عاد - لأدنى ملابسة - إلى ما كان فيه . ولا ندعى أن فى هذا تجديدا ، وإنما هو تلوين بلون حالته النفسية ، يظهر أثره فى النظم .

ثانيا — الظاهرة الواضحة على طول القصيدة إرسال المثل وتضمين الأمثال السابقة . فمن إرسال المثل ما تجده فى الأبيات : (١٦، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٥٨، ٥٩) . ومن التضمين : قوله فى البيت الثالث : (لاناقى فيها ولا جملى)؛ تضمينا للمثل: (لا ناقة لى فى هذا ولا جمل)، وقوله فى البيت التاسع : (ويقنعنى من الغنيمة بعد الكد بالقفل) تضميناً للمثل : (رضيت من الغنيمة بالإياب) . وقوله فى البيت الثالث والخمسين : (سبق السيف للعذل) ، من المثل المشهور (سبق السيف العذل) .

ثالثا - ولعل المقارنة بين نفس الشاعر والآخرين دعته إلى أن يصطنع الطباق والمقابلة فى أكثر من موضع ،راجع الأبيات :(٢-٣-٥-١١-١٣-١٥-١٨ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤ - ٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٥ - ٥٨) تجد مصداق هذا.والمقابلة كما قررنا تسهم فى كشف المعانى وتقريرها ، إذا جاءت طبيعية غير متكلفة ، ومنها كثير مما تطالعه فى هذه الأبيات .

رابعا - وبهاتين الظاهرتين - إرسال المثل ، والمقابلة — وبالجناس ، الذى ترى منه أمثلة فى القصيدة : (فى الأبيات : ١ - ٧ - ١٤ - ٢٢ - ٢٩ - ٤٠ - ٥١) : تعد هذه القصيدة ممثلة للشعر فى عصرها ، ويعتمد الشعر فى هذا العصر على البديع ، والإغراق فى الزينة اللفظية ، والولوع بالاستعارة .

فمن ألوان البديع الأخر : صحة التقسيم فى البيت الخامس - الالتفات فى البيت العاشر - الجمع مع التقسيم فى البيت الثالث عشر - التدبيج (وهو من النقش بالألوان) فى البيت الثامن عشر .

والاستعارة مبثوثة فى القصيدة ، ومنها(١): سرح الكرى / سوام النوم/

---

(١) بعض هذه الأمثلة يمكن عده من التشبيه البليغ .

خمر الكرى / عين النجم / صبغ الليل / ذمام الليل / الأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل / سقيت نصالها بمياه الغنج ، والكحل / نار الهوى / لديغ العوالى / الصفاح البيض (للعيون) / غزلان تغازلنى / أسود الغيل (للرجال) / غمار العلا / نحور البيد / إن العلا حدثتنى / ترعى مع الهمل .

خامسا - تناول الطغرائى من مائدة غيره كثيرا من المعانى :

فالبيت السابع من قول الشريف الرضى :

ووقفت حتى ضج من لغب نضوى ، وعج بعذلى الركب

والبيت الثامن عشر سبق به المتنبى فى قوله :

من الجآذر فى ذى الأعاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب

والبيتان ٢٨ و ٢٩ يعيدان قول عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والبيتان ٣٥ و ٣٦ من قول أبى تمام :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديباجيته ، فاغترب تتجدد

فإنى رأيت الشمس زادت محبة إلى الناس أن ليست عليهم بسرمد

والبيت الأربعون من بيت أبى العلاء :

وما ازدهيت وأيام الصبا جدد فكيف أزهى بثوب دارس خلق

والأبيات ٤٣ و ٤٦ و ٥١ من قول المتنبى - على التوالى :

- ما كنت أحسبنى أحيا إلى زمن يسىء بى فيه كلب وهو محمود

- خذ ما رأيت ودع شيئا سمعت به فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

- غاض الوفاء فما تلقاه من أحد وأعوز الصدق فى الأخبار والقسم

ولا نزعم أن فى هذه المعانى كلها سرقا ، فإن هذه المعانى المكرورة على اختلاف الزمان يولدها النظر وإعمال الفكر ، وليس للنظر والفكر زمان دون زمان .

طارق على باب النصر

الخطيب :

هو طارق بن زياد ، فاتح الأندلس ، باسم مولاه موسى بن نصير ، والى إفريقية من قبل الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك .

مناسبة الخطبة :

أذن موسى بن نصير لطارق بن زياد وطريف بن مالك ، من مواليه وقادة جيشه — أن يعبرا البحر المتوسط من بر المغرب إلى البر الشمالى سنة ٩١هـ .

ونزل طارق وطريف فى بلاد الأندلس فى مكانين مختلفين ، ثم استجمعا جيشيهما ، وتلبث طارق إثر رسالة وصلته من موسى بن نصير يستوقفه فيها ويمنيه المدد ، وعلم طارق أن «لذريق» ملك القرط نهد لحربه فى سبعين ألف فارس ، فعزم على قتاله غير متلبث — قالوا : وارتجل هذه الخطبة :

الخطبـــة :

(أيها الناس : أين المفر ، البحر من ورائكم ، والعدو أمامكم . وليس لكم — والله — إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام . وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته وأقواته موفورة ، وأنتم لاوزر لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدى عدوكم . وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً — ذهب ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم . فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم ، بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت . وإنى لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة — أرخص متاع فيها النفوس — أبدأ عنها بنفسى . واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق

قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسى فما حظكم فيه أوفر من حظى ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات الرومان ، الرافلات فى الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات فى قصور الملوك ذوى التيجان . وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً ، وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ؛ ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته ، وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ، ومن دون المؤمنين سواكم . والله — تعالى — ولى إنجادكم على مايكون لكم ذكراً فى الدارين ، واعلموا أنى أول مجيب إلى مادعوتكم إليه ؛ وأنى — عند ملتقى الجمعين — حامل بنفسى على طاغية القوم لذريق ، فقاتله إن شاء الله تعالى ؛ فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولى إليه ، فاخلفونى فى عزيمتى هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكفوا الهم من فتح الجزيرة بقتله ، بعده يخذلون) .

المفردات :

الصدق : المراد به الشدة . موفورة : كثيرة . لاوزر : لا ملجأ . ذهب ريحكم : كناية عن التبدد والضياع ، والريح بمعنى القوة ، والغلبة ، والدولة . المناجزة : المقاتلة ، نجوة : أى مكان بعيد . أربأ عنها بنفسى : أى أرتفع عنها ، العقيان : الذهب ، عزبان : جمع عزب وهو من لا زوجة له . الأصهار : الأقارب من جهة الرجل . الأختان : الأقارب من جهة المرأة . المجاهدة : المضاربة . اكفوا الهم : أى اكفوا أنفسكم الهم أى امنعوه وردوه .

تحليـــل :

لقد شعر القائد الخطيب بخطورة الموقف ، فأراد أن يشعر جنوده بها

وبالحاجة إلى الثبات ، ومواجهة العدو ، وأن يدلهم على طريق النصر ، ويزينه لهم ، ويغريهم بالقتال فى سبيل الله ، لإعلاء كلمته وإظهار دينه ، ووعدهم أن يكون معهم وكأحدهم فى العزم والنضال .

واستغل الخطيب ماهم فيه أحسن استغلال ، فقد كانوا بحاجة إلى تثبيت أقدامهم لينالوا الحياة ، فإن لم يدفعوا عن أنفسهم حصدهم الموت ، وهم محصورون بين البحر والعدو . واستغل عقيدتهم فى الجهاد ، فدعاهم إلى انتزاع النصر أو الشهادة فى جنب الله ، واستغل رغبتهم فى متاع الدنيا ، فنبه إلى وفرة البلاد بالغنى والجمال وحذرهم التهوين من أمر عدوهم فقد دفع نفسه لمقاتلتهم بجيش كثيف تلزم مناجزته ، وإن فرصة القهر عليه مواتية . وأذكرهم أن الخليفة اختارهم واثقاً فى شجاعتهم وجراءتهم ، وفى حبهم للجهاد وملاقاة الأقران . وعرفهم الخطيب أنه ليس بنجوة مما حذرهم إياه ، وقد عزم على أن يقودهم إلى النصر وأن يحمل بنفسه على ملك القوط ، وأوصاهم إن هلك فعليهم أن يختاروا خليفة له يقودهم إلى النصر والظفر .

وأسلوب الخطبة — كما ترى — سهل واضح اللفظ والمعنى ، قريب من الفطرية بعيد عن الصنعة والتأنق ، ومع هذا جاءت الخطبة ، قوية الأثر ، لأنها اعتمدت على الإقناع فى أكثر من موضع ، فإنهم فى مكانهم هذا قد انحصروا بين البحر والعدو وهم فى هذه الجزيرة لن تحميهم إلا سيوفهم ، ولن يجدوا مايقتاتون به إلا ما يستخلصونه من عدوهم ، وإنهم لقادرون على الوصول إلى الهدف وإلى المتاع الموفور إذا بذلوا قليلا من المشقة ، وإنهم الصفوة المختارة لهذا الفتح وما أعظم فتحاً يبارككم الله .

وفى الخطبة عدة صور أسهمت فى توضيح المعنى ، ومنها قوله فى أول الخطبة : (البحر من ورائكم والعدو أمامكم) وفى بعض الروايات أن السفن التى كانت تنقل الجيش العربى كانت عدتها أربع سفن وكانت تنقل الجيش فصائل فصائل ، وانتهز طارق عودتها إلى بر المغرب فنبه جنوده فى خطبته

إلى انحصارهم بين البحر والعدو ، وكلاهما محذور مخوف ؛ فلا أمان لهم إذن إلا بالحركة الزاحفة المنتصرة ، ولا تكون حركتهم هذه نحو البحر ، فلتكن نحو العدو . ويقول لهم : إنهم فى هذه الجزيرة أضيع من الأيتام فى مأدبة اللئام ؛ فيقرر واقعا فرضه الموقف السابق ، إذ لن يجدوا من يحنو عليهم ويحن إليهم ، فإن لم يأخذوا أنفسهم بالنشاط الحربى ضاع سعيهم وخاب ما يؤملون . وفى عبارته : (إن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت) دعوة إلى الثبات واسترخاص النفوس فى سبيل النصر ، والموت إذن سبيل الحياة ، وليست حياة الأفراد تهم بقدر ما تهم حياة المجتمع واستقامة أمر الدين .

والناس من قديم على هذا ، ومن أمثالهم فيه : « احرص على الموت توهب لك الحياة » : ويقول شاعرهم :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد   لمثلى حياة غير أن أتقدما

وبما صوره الخطيب ـ عن طريق التشبيه والكناية ـ ما عليه نساء الجزيرة من الحسن والجمال والثراء والترف ، فهن حور أو أشبه بحور الجنان ، وهن رافلات فى الدر والمرجان والذهب ، وهن فى بسطة من العيش مقصورات فى قصور الملوك .

برغوث ابن شهيد فى الهيئة الاجتماعية

الكاتب :

هو ابن شهيد . أحد كتاب الأندلس وشعرائه النابهين ، ولد ونشأ فى قرطبة ، وشهد عهد الناصر (عبدالرحمن الثالث)، وهو عهد بلغ فيه الأندلس أوج المجد السياسى والاجتماعى والعلمى ، واشتهر ابن شهيد برسالته المسماة (التوابع والزوابع) وهى رسالة انتقادية فى أسلوب خيالى تهكمى ، نهج فيها منهج أبى العلاء المعرى فى (رسالة الغفران) ، وتوفى ابن شهيد سنة ٤٢٦ هـ .

النص :

(أسود زنجى ، أهلى وحشى ، ليس بوان ولا زميل ، وكأنه جزء لا يتجزأ من ليل ، أو نقطة مداد ، أو سويداء فؤاد ، شربه عب ، ومشيه وثب ، يكمن نهاره ، ويسير ليله ، يدارك بطعن مؤلم ، ويستحل دم البرىء والمجرم . مساور للأساورة ، ويجرد نصله على الجبابرة ، لا يمنع منه أمير ، ولا تنفع فيه غيرة غيور . وهو أحقر حقير ، شره مبثوث ، وعهده منكوث ، وكفى بهذا نقصانا للإنسان ، ودلالة على قدرة الرحمان) .

المفردات :

الوانى : البطىء . الزميل : الضعيف ، سويداء الفؤاد : حبة القلب وهى نكتة سوداء فيه ، يدارك : يتابع ، مساور للأساورة : مهاجم لها والأساورة الأبطال واحدها أسوار (بالضم أو بالكسر) ، منكوث : منقوض .

تحليـــل :

بلغ اهتمام الأندلسيين بالوصف مبلغا عظيما ، فوصفوا كل ما وقع عليه حسهم ، وأودعوا أدبهم — شعره ونثره — تصويرهم لما يصفونه من الحيوان والطير والنبات والجماد .

والمطلع على نثرهم المكتوب تروعه : وفرة ألفاظه ، وسعة أساليبه ، وكثرة البديع فيه فى عفوية أو ما يشبه العفوية ، وقد أولعوا منه بالسجع والطباق والجناس بخاصة .

وهذه القطعة فى صفة البرغوث . وفيها ثلاث ظاهرات :

ظاهرة فكرية — إذ جعل للبرغوث مكانا فى الهيئة الاجتماعية ، فهو أهلى مستوحش ، يساور الأساورة والجبابرة ، ولا يمتنع منه كبير ولا صغير ، والإنسان أمام هذا البرغوث عاجز عن إفنائه ، وغير قادر على قتاله . فكأن الخالق قد خلقه هو وأمثاله من الحشرات الدنيا لمقاومة غرور الإنسان وصلفه ، وليذكر أن قدرة الله لا تقف عند حد ، وكفى بهذا نقصا للإنسان ، ودلالة على قدرة الخالق .

وظاهرة أسلوبية — تتجلى فى اعتماد الكاتب على السجع والجناس والطباق والتشبيه ، والقطعة كلها مسجوعة . ومن الجناس : مساور للأساورة ، وغيرة غيور ، وأحقر حقير ، ومن الطباق : أهلى ، وحشى ، ويكمن نهاره ، ويسير ليله ، والبرىء والمجرم ، ونقصان الإنسان وقدرة الرحمان . ومن التشبيه : كأنه جزء من ليل ، أو نقطة مداد ، أو سويداء فؤاد ، ومنه على سبيل الاستعارة : يستحل دم البرىء ، وعهده منكوث .

ومن هذه الظاهرة الأسلوبية : استيعاب الوصف من عدة جهات ،

فقد وصف لونه الأسود فألحقه بعدة أشياء . ووصف عمله وحركته فهو يشرب عبا ، ويمشى وثبا ، ويتابع عمله بالطعن المؤلم . ووصف نشاطه ودأبه فهو نشيط دءوب غير وان بطيء، وغير زميل ضعيف ، وإنه لينشط بالليل ويكمن بالنهار للاستراحة والهرب من التعقب .

وظاهرة فنية ـ نستنبطها من اهتمام الأندلسيين بمثل هذا الحديث عن البرغوث وأمثاله ، مما يدل على رفاهة ثقافية ، فكأنهم استنفدوا الموضوعات الجادة . أو كأنهم أرادوا أن يدلوا على أن العبرة فى مقدرة الأديب على تناول موضوعه ، عظيما كان هذا الموضوع أو تافها فى نظر الناس .

ابن هانىء فى وادى الغرام

الشاعر :

هو أبو القاسم محمد بن هانىء الأزدى الأندلسى . نشأ فى إشبيلية ، ونزع – كأبيه – إلى قرض الشعر ، ومازال يتوفر عليه حتى برع فيه ، واستوى له أسلوبه الخاص الذى يحتذى أسلوب أبى الطيب المتنبى ، فلقبوه (متنبى المغرب) .

عرف بالغلو ، والمبالغة فى المديح ، كقوله فى المعز لدين الله الفاطمى :

ماشئت لا ما شاءت الأقدار ‏ فاحكم فأنت الواحد القهار

ولك الجوارى المنشآت مواخراً ‏ تجرى بأمرك والرياح رخاء
قد حالت الأفهام فيك فدقت الـ ‏ أوهام فيك ، وجلت الآلاء
فعنت لك الأبصار ، وانقادت لك الـ ‏ أقدار ، واستحييت لك الأنواء

غامرته فعجزت عن إدراكه ‏ لكنه بضماثرى معقـــول
فاخر ، فمن إنشائك الفردوس إن ‏ عدت ، ومن إحسانك التنزيل

وهذه الأقوال وأمثالها مبثوثة فى شعره ، تنطق بانحرافه عن جادة الصواب ، وتقضى عليه بسوء الأدب فى حق الله تعالى .

كذلك مال ابن هانىء إلى اصطناع الفلسفة ، وانتحال الآراء الغريبة ، وكانت فيه أيضاً خفة إلى اللهو والمعابثة والغزل الفاضح .

وارتحل ابن هانىء إلى المغرب ، فاتصل بجوهر الصقلى قبل رحيله إلى مصر لفتحها باسم الفاطميين ، واتصل بالمعز الذى طلب إليه أن يلازمه ويكون شاعره . وشعر ابن هانىء فى مدح الشيعة يدل على تعصبه لهم .

وتوفى ابن هانىء سنه ٣٦٢ هـ عن ٣٦ عاما ، وكان فى طريقه إلى مصر

للقاء المعز ، ونزل « برقة » فعربد فى بعض حاناتها . وعربد عليه بعض الأشقياء فقتلوه .

النص :

١ — فتكات لحظك أم سيوف أبيك ؟
وكئوس خمر أم مراشف فيك ؟

٢ — أجلاد مرهفة ، وفتك محاجر ؟
ما أنت راحمة ولا أهلوك

٣ — يا بنت ذى البرد الطويل نجاده
أكذا يكون الحكم فى ناديك ؟

٤ — قد كان يدعونى خيالك طارقا
حتى دعانى بالقنا داعيك

٥ — عيناك أم مغناك موعدنا ؟. وفى
وادى الكرى ألقاك أم واديك ؟

٦ — منعوك من سنة الكرى وسروا ، فلو
عثروا بطيف طارق ظنوك

٧ — ودعوك نشوى ، ما سقوك مدامة
لما تمايل عطفك اتهموك

٨ — حسبوا التكحل فى جفونك حلية
تالله ما بأكفهم كحلوك

٩ — وجلوك لى إذ نحن غصنا بانة
حتى إذا احتفل الهوى حجبوك

١٠ — ولوى مقبلك اللثام ، وما دروا
أن قد لثمت به ، وقبل فوك

المفردات :

المراشف : أمكنة الرشف والمص ويقصد الشفاه . المرهفة : يقصد السيوف وهى مرهفة أى حادة . المحاجر : يقصد العيون ، والمحاجر جمع محجر وهو مادار بالعين من جميع الجوانب وبدا من البرقع . النجاد : حمالة السيف وطول النجاد كناية عن طول القامة وهو نعت غالب على ذوى الشرف . التكحل : وضع الكحل فى العين ، والكحل - بالتحريك - سواد منابت الأهداب خلقة . لوى مقبلك اللثام : طواه وأخفاه وستره ، والمقبل : موضع التقبيل وهو الفم .

تحليل :

هذه الأبيات افتتح بها الشاعر مدحة فى يحيى بن على ، وقد بدأها بالغزل تقليداً ، وجاء الغزل عليه مسحة من أسلوبه ، ومن اتجاهه إلى وصف المحبوب وتصوير حسنه وجماله .

١ — بدأ الشاعر الغزل متسائلا على طريقة العارف المتجاهل ؛ فهذا الذى أصاب قلبه وجرح فؤاده : أهو طرف المحبوبة ونظراتها الآسرة المصمية أم سيوف أبيها المدمية ؟ وهذا الذى أدار عقله وأسكر لبه : أهو الرضاب المعسول ومراشف الفم اللاذ أم كئوس الخمر ؟ .

٢ — وأنكر على محبوبته - متجاهلا أيضاً - أن تجتمع عليه أجلاد السيوف المرهفة الحادة التى سلها أهلها لحربه ، وآثار العيون التى تفتك به من غير سلاح مادى ، فإن وقع نظراتها عليه كوقع سيوف أهلها ، كلتاهما جارحة قاتلة ، والمحبوبة صوبت نظرها إليه فجرحته ولم ترحمه ، كأهلها الذين أشرعوا سهامهم ولم يرحموه .

٣ — ثم عرج على صفة أهلها ، فهم أهل وجاهة وشجاعة وشرف ،

وقد اعتاد أمثالهم أن يلبسوا البرود للوجاهة ، ويحملوا السيوف للشجاعة، ويفدوا إلى النوادى ليشاركوا بالرأى والكلمة . وقوم كهؤلاء ينتظر منهم العدل والنصفة ، ولكنهم جاروا عليه، وقضوا بحرمانه من لقائها ، فاستحقوا أن ينكر عليهم هذا الجور ، وأن ينكر على محبوبته انصياعها لهذا الجور ولجوءها إلى الصد والهجران .

٤ — ويذكر أن المحبوبة كانت تعطف عليه ، ويطرقه خيالها يدعوه إليها ، فيلبي النداء ؛ لما يجد فيه من الراحة وبرد الشوق . تبدلت الحال فصارت الدعوة بأدوات الحرب والقتال ؛ ليلقى مصرعه ، أو ليشهد مصرع حبه .

٥ — ومع ذلك يطمع فى إقبالها عليه ، فهو يسائل عن الوصال المرتقب : أيكون فى مغناها ودارها يقظة أم فى المنام — وفى رواية (عيناك أم مغناك) فهو يأمل أن تستقبله فى منامها خيالا ، وفى رواية (عيناى أم مغناك) فهو يطمع أن يزوره طيفها . وفى الحالين يبدو راضيا بقليل من عطفها .

والشاعر شبه الكرى بالوادى أو جعل له واديا ؛ لأن الحالم تتسع رؤاه مع ضيق الحيز الذى يتحرك فيه، وكذلك الوادى بين الجبلين محصور محدود الرقعة ولكنه وسيع على قطانه .

٦ — وقال الشاعر : إن أهل المحبوبة ؛ من غيرتهم عليها ومبالغتهم فى هذه الغيرة ؛ منعوها النوم ، حتى لا يطرق طيفها عينى صاحبها ، وجعلوا يفتشون عن طيفها ليردوه ، وكلما عثروا بطيف طارق ظنوه طيفها . وفى هذا تصوير لمناوأتهم لهذا المحب المغرم واضطهادهم إياه .

وفى هذا أخطأ الشاعر خطأ فكريا : إذ أن طيف الخيال يطرق عينى المحب دون ما اعتبار ليقظة صاحبة الطيف أو منامها . وهو خطأ وقع لبعض الشعراء من قديم كقيس بن الخطيم فى قوله :

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه   فى النوم غير مصرد محسوب

وكالبحترى فى قوله :

هجرتنا ، وكادت ـ على عا دائها فى الصدود ـ تهجر وسنى

بيد أنهم جميعا أراءوا أن لقاء المحبوبة عسير حتى فى المنام .

٧ — مازال أهل المحبوبة يصادرون الحب : إذا شاهدوها تتمايل وتسير سير التثنى اتهموها بحب صاحبها والميل إليه ، وإن بدت نشوى اتهموها بالصبابة ولوعة الغرام ، وفاتهم أن ما يشهدون من التثنى والنشوة خلقة فيها وطبيعة . ولانستبعد أن الشاعر إنمايقصد تأثير الغرام عليها تأثيراً كبيراً ، وأن مايبدو من التثنى وانصراف عقلها عما فيه قومها ناشىء من أثر اللذة بالغرام وطول الفكر فيه .

٨ — وصور الوهم لقومها ـ حين نظروا كحل عينيها ـ أنها اكتحلت لتتزين للمحب ولقائه . لقد أخطئوا ووهموا ، ولم يقم لديهم دليل ، هل باشروا تكحيلها حتى تسوغ لهم دعواهم ؟ ، ونسوا أن ابنتهم ذات جمال فطرى ، لا يفتقر إلى التطرية .

٩ — وأشار الشاعر إلى أنهم جلوها له وأظهروها وسموها باسمه منذ الصبا ، منذ كانا صغيرين كغصنى البان ، حتى إذا شبا عن الطوق ، واحتشد الهوى فى فؤاديهما حجبوها خشية الغواية أو التمادى فيها . وهذه ظاهرة اجتماعية ماتزال فى عادات الناس حتى اليوم .

١٠ — وبلغت المحبوبة مبلغ النساء ، فألزموها اللثام ، وطوى هذا اللثام مقبلها .

ظنوا أنهم يعصمونها من المحب وقبلاته ، وما دروا أن مكانه غير خاف عليه .

* * *

ونلحظ عدة أمور :

أولها : تركيز الشاعر على التصوير الحسى .

ثانيها : اصطناع المبالغة ، وخاصة فى حديثه عن غيرة القوم ومصادرتهم الطيف ، وصدامهم العاشق الولهان .

ثالثها : الإقرار بالطيش والنزق فيما ادعاه أنه ينال من محبوبته مآربه ، برغم الحجاب المفروض عليها .

رابعها : الاتكاء على الصناعة اللفظية ، كأسلوب تجاهل العارف ، وكاللف والنشر فى الأبيات : الأول والثانى والخامس .

منطق اللحظة الراهنة لابن حزم

الشاعر :

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري ولد في قرطبة سنة ٣٨٤ هـ وألم بعلوم قومه وعصره إلماما أهله للوزارة ولأن يتصدر للفتيا والتأليف في علوم الدين والقرآن والحديث واللغة والفلسفة والطب والأدب والتاريخ ، وبلغت تصانيفه زهاء أربعمائة مصنف ، من أشهرها كتابه (الفصل في الملل والنحل) وتكلم فيه على مذاهب الفلاسفة ومعتقدات أهل الكلام ، وكتابه (أخلاق النفس) ، وكتابه (الناسخ والمنسوخ) في الحديث .

ورحل ابن حزم إلى المشرق وهو على مذهب الإمام الشافعي ، وعاد من رحلته وقد انتقل إلى مذهب داود الظاهري الذي ظهر في بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري . وتعرض ابن حزم من جراء هذا للتسفيه والمناظرة ؛ « حتى استهدف إلى فقهاء وقته ، فمالوا إلى بغضه ورد أقواله ، ونهوا عوامهم عن الدنو إليه والأخذ عنه ، وطفق الملوك يقصونه عن قربهم ، ويسيرونه عن بلادهم ، إلى أن انتهوا به منقطعاً أثره بتربة بلدة من بادية لبلة ، وبها توفي رحمه الله »(١) سنة ٤٥٦ هـ .

النص :

جعلت اليأس لي حصناً ودرعاً فلم ألبس ثياب المستضام
.. وأكثر من جميع الناس عندي
يسير صانني دون الأنام

---

(١) عن معجم الأدباء لياقوت جـ ١٢ ص ٢٤٨ القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ

إذا ما صح لى دينى وعرضى فلست لما تولى ذا اهتمام
تولى الأمس ، والغد لست أدرى أأدركه ؟ . ففى ماذا اغتمامى ؟

تحليل :

١ — يعترف بأنه تحصن باليأس ورأى فيه أمانا من المذلة والهوان ، فهو يهرب من الحياة ويطلب السلامة ، ويزعم أن ذاك يقيه الضيم ، فإنه إذا خاض غمار الحياة اضطر إلى أن ينافق ويجامل ويساهل ويجارى فى كثير من أمره . وهذا سلوك يصيره خاضعاً للمواضعات الاجتماعية ويقيده بقيودها التى لا تعطيه الحرية بقدر ما تفرض عليه العبودية ، فالهروب من هذه العبودية أفضل عنده ، وهذا هو الهروب الذى سماه يأساً ، وتجسم له اليأس حصنا ودرعاً ، فهو مأواه الذى يتحصن به ويتدرع ؛ صيانة ووقاية .

٢ — ويرتاب فى صلاح أكثر الناس للحفاظ على المودات والبقيا على الصداقات ، ويرى أن القليل من الناس هم الذين يصونون المودة ويبقون على الصداقة ، وهؤلاء القليل عنده أكثر قيمة من سائر الناس الذين لا يرعون الصلات الإنسانية .

٣ — ويعلن أنه يكتفى من الحياة بأن يسلم له دينه ويسلم له عرضه . فإذا سلما استطاع أن يرفع رأسه ولا يبالى بعد: ماذا يكون؟ ، أما إذا أصيب فيهما فهو الذل الأبدى ، والخزى السرمدى .

٤ — وهو يشغل نفسه بوقته الراهن ، فليس ما يدعو إذن للتفكير والاغتمام وشغل القلب لا بما مضى ولا بما هو آت ، فإن ما مضى تولى وانقضى ولا يغيره الهم منه والفكر فيه ، وإن ما يأتى فى ضمير الغيب ، فلا يدرى على أى وجه يقع وهل يدركه أو لا يدركه ؟ فمن البلاهة ارتقابه ورصده .

* * *

وهذه الأفكار لا تحمل فلسفة عميقة بقدر ما تعرض وجهة نظر نشأت — هى وأمثالها — عن تجاريب مرت بالشاعر، وهذه التجاريب تفيد فى معالجة الأمور وتفسيرها، لأنها تصدر عن الوجدان الاجتماعى.

والشاعر يساير منطق نفسه فى الجنوح إلى السلبية والقنوط، والركون إلى اليأس من صلاح الحال، وكره الحياة كما هى، حتى اتهم أكثر الناس — إن لم يكونوا كلهم — بقلة الوفاء.

ولقد نحمد له أن يشغل بصحة دينه وصحة عرضه، فإن فى صيانتهما صيانة للكرامة، وليس بعد أن تطيب صلة الإنسان بربه شيء: إلا أن يكون العرض نقياً، لا تلغ فيه كلاب البشرية.

وفى الأخير: يذهب مذهب أهل اللحظة الراهنة، فيرفض الفكر فيما مضى وفيما يستقبل من الزمان، مع أن العقلاء يرون الفكر فيما مضى مجالاً للعبرة والاستبصار ومعالجة ما يعرض ويجد من أمور الحياة، ويرون الفكر فى المستقبل متفقا مع ما يأخذ به الإنسان نفسه من الأمل.

شكوى مسجون لابن زيدون

الشاعر :

هو أبو الوليد أحمد بن عبدالله بن زيدون ، ينتمى إلى قبيلة « مخزوم » القرشية. وفد أبوه على الأندلس ، ونشأ فى قرطبة .وتولى قضاءها ، وأنجب فيها ابنه « أحمد » فى سنة ٣٩٤ هـ على كبر .

وتلقى أحمد مبادىء العلوم والمعارف من أبيه ومن أئمة عصره وبلده ، فحصل كثيراً من أشعار العرب وتواريخها وأيامها وأمثالها وفلسفتها ، ونبه قدره ، فاستخدمه «أبو الحزم بن جهور» من ملوك الطوائف، ثم استوزره، ولم يلبث السعاة أن أفسدوا الصلة بينهما ، فطوح به أبو الحزم إلى السجن، وبمعونة من « أبى الوليد بن أبى الحزم » - وكان صديقاً له - فر من سجنه إلى « أشبيلية » ، ثم عاد إلى «قرطبة » وزيراً لأبى الوليد هذا بعد وفاة أبيه، وتقلبت بابن زيدون الدنيا حتى توفى سنة ٤٦٣ هـ .

ولابن زيدون نثر ، من أشهره الرسالة الجدية فى استعطاف أبى الحزم ابن جهور ، والرسالة الهزلية فى الاستهزاء بغريمه الوزير « ابن عبدوس » فى حب ولادة ، وكلتا الرسالتين تمثل ثقافة ابن زيدون وثروته اللغوية والفكرية والبيانية .

مناسبة القصيدة: ولى ابن زيدون الوزارة لبنى جهور ، حتى بلغ لديهم مكانة حسده عليها حساده ، كما حسدوه على منزلته لدى «ولادة بنت المستكفى بالله » إحدى أميرات البيت الأموى فى بلاد الأندلس ، فدسوا له حتى ألقى به فى السجن ، وما زال يعتذر إلى « أبى الحزم بن جهور » ويستشفع له بأصدقاء كأبى حفص بن برد الذى أرسل إليه هذه القصيدة . وقدر لابن زيدون أن يفر من السجن ويذهب إلى « اشبيلية » فيلقى العزازة والإكرام

ويتقلد الوزارة لدى أمرائها، ولكن حنينه إلى قرطبة مسقط رأسه وملعب محبوبته ولادة لم ينقطع ، فأرسل الشعر فيها زفرات وشكوى وغزلا .

النص :

١ — ما على ظني باس يجرح الدهر ويأسو
٢ — ربما أشرف بالمر ء على الآمال ياس
٣ — ولقد ينجيك إغفا ل ، ويرديك احتراس

---

١ — باس : بأس بهمزة مسهلة وهو العذاب والشدة . يأسو : يأسو بهمزة مسهلة أيضاً - بمعنى يداوى .

يقول : ما فى ظنى بأس ، فإن طبيعة الدهر أن يجرح ويداوى، أن يعطى ويأخذ ، أن يمنح ويمنع ، فأنا إن ظننت خيراً وجاءت الأحداث بخلاف ظنى فما فى ذلك بأس .

وبين يجرح ويأسو طباق . والجملة الثانية مفصولة من الأولى لأن تلك الجملة الثانية جاءت كجواب عن سؤال تمليه الجملة الأولى فكأنه قيل : لماذا عدم البأس ؟ فأجيب : بأن طبيعة الدهر أن يأتى بالشر وبالخير فلماذا البأس؟

٢ — ياس : يأس بهمزة مسهلة .

يقول : ربما دفع اليأس بالمرء إلى المأمول من حيث لا يظن .

وبين الآمال واليأس طباق . وجاءت جملة هذا البيت مفصولة من الجملة السابقة فى البيت السابق لأنها فى موطن التأكيد لها لزيادة تقرير الحكم وتثبيته . وهذه حالة من حالات الفصل لما يسمى (كمال الاتصال) .

٣ — يقول : قد تتناقض التوقعات ، فينجو الغافل من حيث لا يتوقع النجاة ، ويردى المحترس المتيقظ من حيث لا يتوقع الردى والهلاك - وفى رواية « ويؤذيك احتراس » . والرواية الأولى أقوى فى تصوير عاقبة الاحتراس غير المتوقعة .

وبين الجملتين مقابلة .

٤ ـ والمحـاذير سهـام والمقـادير قيـاس

٥ ـ ولكم أجـدى قعود ولكم أكـدى التماس

٦ ـ وكـذا الدهر ؛ إذا ما عز ناس ذل ناس

٧ ـ وبنـو الأيام أخيـا ف : سـراة ، وخساس

---

٤ ـ المحاذير : جمع محذور ، والمقادير : جمع مقدور . وقياس (هنا) : جمع قوس ، يشبه المحاذير بالسهام والمقادير بالأقواس ، والقوس يلقى السهم فالمقدور إذن يأتى بالمحذور .

وفى هذين البيتين يستدر الشاعر عطف صديقه عليه ؛ لعله يسهم فى نجاته مما لا طاقة له به من السهام الجارحة التى ترميه الحياة بها .

٥ ـ أجدى : أفاد ونفع . أكدى : أخفق ولم يفد ، وبينهما جناس وطباق التماس : تطلب وسعى وهو ضد القعود .

يقول : كثيراً ما يكون القعود عن السعى سبيلا إلى الظفر ، وكثيراً ما يكون السعى والجد والتحصيل من ورائه الإخفاق . وبين الجملتين مقابلة .

٦ ـ هذه سنة الدهر : يعز ناس ويذل آخرون .

والمقابلة بينهما واضحة . وتنكير (ناس) الثانية يشعرنا أنهم ناس آخرون يصيبهم الذل غير أولئك الذين أصابوا العز .

وفى رواية : « وكذا الحكم » . وشأن الحكم أن يظل ناسا بنعمة السلطان والمجد الدنيوى بينما ينزوى آخرون مغلوبين على أمرهم يقتاتون القهر والمذلة .

٧ ـ أخياف : مختلفون ؛ ويقول أحد الأعراب : « الناس أخياف وشتى فى الشيم » . سراة : أشراف جمع سرىّ . خساس : حقراء جمع خسيس . وبينهما طباق .

═

٨ — نلبس الدنيا ، ولكن متعة ذاك اللباس

٩ — يا أبا حفص — وما سا وات فى فهم « اياس » —

١٠ — من سنا رأيك لى — فى غسق الخطب — اقتباس

١١ — وودادى لك نص لم يخالفه قياس

= يقول : الناس مختلفون ؛ منهم السراة الأشراف والخساس الحقراء ، ومن شأن السرى الشريف أن يكون مطمئناً إلى دنياه ونفسه ، أما الخسيس الحقير فإنه يحيا قلقاً نافراً يتطلع إلى ما فى أيدى الناعمين ، ويحسدهم عليه .

٨ — نحن نتمتع بدنيانا تمتع الإنسان بلباسه ، ولكن إلى أجل ؛ فنحن مضطرون إلى خلع دنيانا ، مثلما نخلع الثياب من بعد زينة .

٩ و١٠ — أبو حفص : صديقه الذى توجه إليه بالشعر . إياس : هو إياس بن معاوية المشهور بالذكاء تولى القضاء فى عهد عمر بن عبد العزيز ، وبذكائه ضرب أبو تمام المثل فى بيته المشهور :

إقدام « عمرو » فى سماحة « حاتم » فى حلم « أحنف » فى ذكاء « إياس »

سنا رأيك : ضوءه . غسق الخطب : ظلمته . وفيهما تشبيه الرأى بالسنا والخطب بالغسق على سبيل التشبيه البليغ المعتمد على إضافة المشبه به للمشبه . وبين العبارتين مقابلة رائعة كما ترى .

اقتباس : يقصد استفادة . تقول : اقتبس منه علماً أو ناراً أى استفد .

فى البيتين يصف صاحبه بذكاء يفوق ذكاء « إياس بن معاوية » فهو يدعوه إذن أن يدله على الرأى يسترشد به فى خطبه الملم .

١١ — النص : السند المقطوع بصحته ويكون فى عرف الأصوليين بالكتاب والسنة . والقياس : إلحاق قضية بأخرى ويكون عند الفقهاء إذا عدم النص فيلحقون قضية بأخرى لاشتراكهما فى علة ؛ فتأخذ القضية الثانية حكم القضية الأولى .

=

١٢ — أنا حيران ، وللأمـــر وضوح والتباس

١٣ — ما ترى فى معشر حا لوا عن العهـد وخاسوا؟

١٤ — ورأونى سامريا يتقى منـــه المساس؟

= يقول : إن ودادى لك صريح مقطوع به لا خلاف فيه .

وفى رواية : « لم يخالفه القياس » وواضح أن الشاعر يصطنع التورية بمصطلحات العلوم والتشبيه بها .

١٢ — يعرض قضيته : أنا حيران ؛ لا أهتدى إلى طريق الخلاص . فالأمر يتضح تارة لى ويلتبس أخرى ؛ فهو حيناً يتصور لماذا سجن وحيناً يكذب ظنه ويلتبس الأمر عليه إذ يدرأ التهمة عن نفسه .

١٣ — حالوا : تحولوا . خاسوا : خانوا ونكثوا .

يسأله فى حكم هؤلاء الذين تحولوا عنه وخانوا قضيته ، وهم « أبو الحزم ابن جهور » ، وحاشيته .

١٤ — السامرى : اليهودى المنافق الذى سولت له نفسه عبادة العجل، فزين لبنى إسرائيل فى غيبة موسى الكليم أن يعطوه حليهم ووضعها ـ كما قيل ـ فى حفرة ، ورشها بتراب كان التقطه من أثر فرس جبريل ، فصيغت عجلا له خوار ، وزعم لهم أن العجل إلههم وإله موسى ، وعاقبه الله بتحريم مخالطة الناس له ومكالمته ومبايعته ومواجهته ومعايشته ، وإذا اتفق أن يماس أحداً حم الماس أو الممسوس . (اقرأ قصته فى سورة طه ـ الآيات ٨٣ - ٩٧) .

يقول : إن هؤلاء نظروا إلى مثلما نظر اليهود الأتقياء إلى السامرى فاجتنبوه .

وفى البيت تشبيه بليغ ؛ يشبه الشاعر نفسه ـ فى نظر حساده ـ بالسامرى، وجملة (يتقى منه المساس) ترشيح لهذا التشبيه . والترشيح ذكر صفة من صفات المشبه به ، تسهم فى تقوية التشبيه وتأكيده .

١٥ — أذؤب هامت بلحمى ؛ فانتهاش ، وانتهاس

١٦ — كلهم يسأل عن حا لى ؛ وللذئب اعتساس

١٧ — إن قسا الدهر فللما ء من الصخر انبجاس

١٨ — ولئن أمسيت محبو سا فللغيث احتباس

---

١٥ — أذؤب: جمع ذئب . انتهاش : أخذ بالأضراس . انتهاس : أخذ بمقدم الأسنان : وبينهما طباق .

يقول : ظهروا لى ذئاباً كواسر فجعلوا يغتابوننى ، فهو يشبههم بالذئاب ويرشح التشبيه لتقويته وتأكيده .

وفى رواية « فانتهاب وانتهاس » ، وفى كلتا الروايتين جناس .

١٦ — اعتساس : طواف بالليل أو طلب للصيد بالليل ؛ أى أنهم كانوا يتظاهرون بالود له ويسألون عن حاله ، وحقيقتهم أنهم يعتسون كما يعتس الذئب وهو يطلب فريسته .

وفى البيت تشبيه ضمنى إذ شبههم بهذه الذئاب .

١٧ — انبجاس : تفجر .

يسلى الشاعر نفسه ، وينتظر انفراج الأزمة كما أن من الحجارة ما يتفجر منه الماء .

وفى البيت ايجاز تدركه حين تقدر ما حذف منه ، والتقدير : إن قسا الدهر فقد يلين من بعد قسوة ويسمح من بعد إباء ، كما أن الصخر الأصم لا يظل أصم صلدا وإنما يأتى عليه وقت ينبجس منه الماء .

وإسناد القسوة إلى الدهر مجاز عقلى .

١٨ — ويهون من امر حبسه . وهو موقن بالفرج بعد الشدة =

١٩ — يلبد الورد السبنتى   وله - بعد - افتراس

٢٠ — فتأمل ؛ كيف يغشى   مقلة المجـــد النعاس ؟

٢١ — ويفت المسك فى التر   ب ، فيوطا ، ويداس ؟

٢٢ — لا يكن عهدك ورداً ؛   إن عهـــدى لك آس

= والحرية بعد ذل القيد ، ويستدل لنفسه بالغيث : نافع فى كل وقت ولكنه قد يحبس لوقت الحاجة .

فهو يشبه نفسه بالغيث تشبيها ضمنيا ، والغيث يحبس فى النؤى ووراء السدود إلى حين ، وكذلك الشاعر قيدت حريته وسيأتى وقت يدرك حابسوه أنهم بحاجة إليه فيطلقون عقاله ، (وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر) .

١٩ — يلبد (من بابى فرح وقعد) : يقيم ويلصق بالأرض . الورد : من أسماء الأسد . السبنتى : الجرىء . يشبه نفسه بالأسد يلازم الأرض حينا ، ثم لا ينفك يعدو مفترسا .

٢٠ — ما يزال يهون على نفسه ، فيرى المجد مطموساً مثلما يغشى النعاس العين إلى حين ، وفيه تشبيه المجد بالمقلة .

٢١ — يوطا : يوطأ مسهلة ، والمقصود بوطئه ودوسه سحقه كما يسحق الحجر ، وكذلك قد يوطأ المسك ويداس وقتا ، لكنه يدل على نفسه بعد حين . فما يصيب الشاعر الآن إنما هو اختبار له للتحقق من أصله ومعدنه وقوة تحمله ، هكذا يتصور نفسه ، وفى هذا كله يمنى نفسه الفرج بعد الشدة وسلامة العاقبة والنصر فى النهاية .

٢٢ — الورد والآس : من الزهور ؛ ولكن الأول سريع الذبول والثانى طويل الأمد ، وكل منهما كناية عن مداه ، بالإضافة إلى وقوعه مشبهاً به .

يقول لصديقه : لا يكن عهدك قصيرا سريع الذبول ؛ فان عهدى لك عهد دائم طويل المدى =

٢٢ — وأدر ذكرى كأساً   ما امتطت كفك كاس

٢٤ — واغتنم صفو الليالى ؛   إنما العيش اختلاس

٢٥ — وعسى أن يسمح الدهــــر ؛ فقد طال الشماس

= وبين الجملتين مقابلة . والجملة الثانية مفصولة للاستئناف ، والنهى للالتماس .

٢٣ — ويدعوه أن يذكره فى كل حين ، كلما أحس نعمة الحياة التى حرمها الشاعر ... والأمر فى البيت للالتماس .

وفى عبارة (ما امتطت كفك كأس) تشبيه صورة الكأس فى كف الممدوح بصورة الفارس يمتطى صهوة جواده ، وكأن الشاعر يود أن يجعل حركة الكأس فى الكف حثا لصاحبها أن يتحرك لإنقاذ صديقه أو الشفاعة له .

٢٤ — اختلاس : أى سلب وفرصة .

يقول له : لا تفلت فرصة النعيم ، فإنما العيش فرص .

والأمر للنصح والإرشاد ، والجملة الثانية مفصولة استئنافا للتدليل على ما ينصح به ، وجاءت هذه الجملة بطريق القصر أداته « إنما » والعيش مقصور واختلاس مقصور عليه ؛ لادعاء أن العيش لا يكون إلا اختلاسا وفرصاً .

٢٥ — يسمح : يجود ، والرجل السمح : الجواد الكريم . الشماس : أى الاستعصاء . يقال : شمس الفرس شماسا منع ظهره ولم يمكن راكبه منه ، و (ال) فى الشماس بدل من الضمير والتقدير : طال شماسه أى شماس الدهر ، وإسناد السماح والشماس إلى الدهر من المجاز العقلى .

يقول : أرجو أن يسمح الدهر باللقاء وبالحرية وبنعمة الحياة الكريمة ؛ فقد طالما استعصى وامتنع .

المجال الفكرى :

أولا ـ افتتح « ابن زيدون » قصيدته بعدة معان قدرية جبرية ، فأسلم زمامه للدهر ، يجرحه ويأسو جراحه ، ويعطيه ويأخذ منه ، ويمنحه ويحرمه ، فلا داعى للتفكير فى مجرى الأحداث وارتقاب نتائجها ، فربما دفع اليأس بالمرء إلى مأموله من حيث لا يتوقع ، ولقد ينجو الغافل ويهلك المحترس المستيقظ ، وقد تأتى المقادير بالمحاذير ، وكثيرا ما أجدى القعود عن السعى ظفرا وغنما ، وأخفق السعى والجد والتحصيل . وسنة الحياة الدنيا : ناس أعزاء وناس أذلاء ، سراة أشراف وخساس حقراء ، وإذا عشنا فى دنيانا فإلى أجل ، نخلعها فيه مثلما نخلع أرديتنا من بعد زينة .

ثانيا ـ وتوجه بعد هذا إلى صديقه ذى الحجا والألمعية ، يستشيره ؛ وهو يصدقه الود ، ويعرض قضية حيرته ، ويسأله الرأى فى الخونة ، الذين غدروا به ، ولم يفوا له ، فتحاموه ، واجتنبوه ، ونافقوه ، مظهرين وده ، وهم يبطنون الحقد عليه والسعى فيه .

ثالثا ـ وجعل يسلى نفسه ، ويقوى أمله فى الخلاص من سجنه ،ويحسب قسوة الدهر موقوتة . وأحس قيمته ، فازدهى ، وهو يتصور نفسه غيثاً نافعا قد يحبس لوقت الحاجة ، وأسدا جريئاً يلازم الغاب ويسكن حتى يثب ، ومقلة يجد يغشاها النعاس إلى حين ، ومسكا طيباً يزيده الفت والوطء والدوس قيمة .

رابعا ـ وناشد صديقه استدامة وده ، واستبقاء ذكراه ، وكأنما تذكر ليالى أنسه وصفوه ، فدعا صديقه إلى اغتنام مثلها ، فالعيش خلس ، ورجا أن يسمح الدهر من بعد عصيان ، ويلين من بعد صلابة ، ويسهل من بعد امتناع ، ويقبل من بعد ادبار .

المجال التصويرى :

الصورة التى تطيف بالقصيدة هى صورة الممرور ، الذى يبتلع تناقضات الحياة ، ويستوى لديه السعى والقعود ، والنجاح والخيبة ، والعز والذل ، ولا يفرح بدنياه إلا فرحة موقوتة ، كأنها الرداء يلبس إلى أمد .

ويقف الشاعر على أعراف الحياة ، يلتمس لدى صديقه - ذى الألمعية التى تفوق ألمعية « إياس بن معاوية » - قبس الرأى ؛ ليخرجه من حيرته ويدله على طريق الخلاص ، ويحكم بينه وبين ذئاب البشرية ، الذين نهشوا لحمه ، وتوددوا له ، وهم يضمرون الكيد والمضرة ، كالذئب يعتس ؛ ليتعرف مداخل فريسته ، ومخارجها ، ومأتاها ، ومقتلها .

ويلمح فى ظلام محنته خيطاً رفيعاً من الأمل ، فيتعلق به تعلق الغريق بطوق النجاة ، ويورى ومضة أمل ، من بعد ما أقعده اليأس ، ويتصور قسوة الدهر إلى لين ، وضيقه إلى سعة ، كما ينبجس الصخر ؛ « وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء(١) » .

ويداعب هذا الأمل شاهيته ، ويستغل محنته للدلالة على جدواه ونفعه ، ويحطم آلامه على قدمى كبريائه ، وهو يتصور نفسه غيثاً يجمع خلف السدود لوقت الحاجة ، وأسداً جريئاً يسكن لحين الوثوب ، ويتصور محنته الواقعة نعاساً يغشى العين إلى حين تستيقظ ، ومثل فت المسك ؛ فى ظاهره يهين المسك ويدوسه ، وفى حقيقته يستخرج طيبه فيغليه ويرفع قيمته .

ويبحث عن صديق يعاطيه مودة خالصة ، ويرغب إلى « ابن برد » أن يكون ذاك الصديق ، ويخشى أن يتنكر له كما تنكر له أصدقاء الأمس ،

---

(١) سورة البقرة : الآية ٧٤

فيعرض عليه صداقة دائمة ويطمع فى مثلها منه ، ويدعوه إلى عهد يبقى طويلا بقاء الآس ، ولا يذبل سريعاً ذبول الورد ، ويدعوه إلى أن يذكره كلما انتشى .

وكأنما أحس ألماً حين طاف بالكأس خاطره ، فتذكر ماضى مسراته وسالف صبواته ، فنصح صديقه أن يغنم صفو الليالى ، ولا يفلت فرص العيش . وسبح سبحاً طويلا وهو يرجو أن يسمح الدهر بحريته ، وينعم عليه بطيب الحياة ، فقد طالما شمس الدهر وعصى .

المجال الفنى :

أولا : استطاع «ابن زيدون» أن يعطينا فى هذه القصيدة تجربة عاطفية عاتية عارمة ، لم ترتبط بالعقل إلا حين مس منطق السخرية من الحياة . فهذه القدرية الجبرية التى استسلم لها فى أول القصيدة إنما استسلم لها عن إفلاس لا عن اقتناع . وهذه الدعوة فى آخر القصيدة إلى اغتنام الفرص ليست دعوة أملاها العقل وإنما هى دعوة المحروم النادم على ترك الماضى فارغاً دون أن يملأه بالسكر والنشوة والمرح . وفيما بين ذلك حسرات ولوعات ، وعض زمان لم يدع صديقاً صدوقاً ، وأمــل أشرق فى ذهنه ولكنه خبا لحظة إشراقه .

ثانيا : وهذه الفلسفة العاطفية جاءت تشاؤمية ، فلا جدوى عنده من السعى ، والمجتمع -كما رآه- مجتمع ذئاب ، والصداقات فى هذا المجتمع قائمة على النفاق والغيبة ، ورهن بالمنافع الذاتية ، حتى صديقه يشفق هو من أن يتنكر له ، والدنيا خلس ، وانتهاز فرصتها إنما جاء -كما ذكرنا- انعكاساً عن الحرمان .

ونلمح وسط هذه الفلسفة العاطفية التشاؤمية بصيصا حائلا من التفاؤل،

مصورا فى انبجاس الصخر ، وانطلاق الغيث ، وإزاحة النعاس عن عينى المجد ، وفت المسك فى الترب لاغلائه ؛ وهو تفاؤل الحالمين وأمل العاجزين.

ثالثا : أسهمت المقابلات وسائر الصور البيانية فى تداعى صور التمزق العاطفى ، الذى بدا لنا أول الأمر سخرية حادة لم تلبث أن تحولت إلى استجداء المشورة ، وشكوى الأصدقاء ، ثم ارتفعت إلى سطح الأمل ، فمدت للشاعر فى زهوه وصلفه ، ثم انكفأت إشفاقاً من صديقه عينه أن ينقلب عليه ، وانتهت إلى قيمة سلبية بالدعوة إلى اغتنام صفو الليالى ؛ يظنها بر النجاة .

رابعاً : قالب القصيدة ناغم راقص ، ولكن قصر الوزن أعطانا دفعات انفعالية، أشعرتنا بتقطع أسباب العواطف. وساعدت فى ترجيع الأنين هذه « السين » — الروى — وماقبلها من مد ، وتقييد الروى بهذه « الضمة » التى تفرض طولا مكتوماً يتكافأ مع طول المد .

أضف إلى هذا كله اختيار الألفاظ الموحية بحال الشاعر العاطفية ، وهى فى كل بيت توحى بالحزن وسوء المنقلب ، وتضرب على أوتار الألم واليأس والحيرة والقلق .

خامساً : وتشير القصيدة إلى ألوان من ثقافة « ابن زيدون » . ففى البيت الثامن تضمين الآية الكريمة : «وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور (١) » . وفى البيت التاسع « تلميح » إلى قصة « إياس بن معاوية » القاضى فى زمان « عمر بن عبد العزيز » المضروب به المثل فى الألمعية . وكذلك فى البيت الرابع عشر « تلميح » إلى قصة « موسى السامرى » اليهودى المنافق ، عابد العجل ، ومفرق صفوف اليهود أيام دعوة « موسى الكليم » - عليه السلام -

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

وفى البيت الحادى عشر إشارة إلى أن الشاعر عرف «أصول الفقه» فهو يذكر «النص» و«القياس» حين يجعل وداده لصديقه نصاً، أى أمراً متفقاً فيه ومسلماً به، وليس معه مجال لإعمال الرأى أو النظر بالقياس.

سادساً: وينظر «ابن زيدون» إلى معانى من سبقوه، فهو يقول:

يلبد الورد السبنتى وله — بعد — افتراس

وهذا من قول «النابغة»:

وقلت: ياقوم، إن الليث منقبض على براثنه للوثبة الضارى

الذى أخذه «ابن الرومى» فقال:

سكنت سكوناً كان رهناً بوثبة عماس(١) كذاك الليث للوثب يلبد

وقد زاد «ابن زيدون» المعنى قوة حين وصف الأسد بالجرأة.

ويقول «ابن زيدون»:

لا يكن عهدك ورداً إن عهدى لك آس

وهو من قولى «العباس بن الأحنف»:

- لا تجعلى وصلنا كالورد حين مضى ذا طلعة، وأديمى الود كالآس
- ولكننى شبهت بالورد عهدها وليس يدوم الورد، والآس دائم

وقد فاق «ابن زيدون» بإيجاز القصر، وبادعاء أن المشبه عين المشبه به، وليس غيره كما فى صنيع «العباس بن الأحنف»؛ وذلك ناشىء من فناء شاعرنا «ابن زيدون» فى الطبيعة، وامتزاجه بها، حتى يكون كل شىء فيها مظهراً لمشاعره ومجالا لوجدانه.

---

(١) وثبة عماس (وزان سحاب) أى لا يهتدى لوجهها.

ياليل الصب للحصرى

الشاعر :

هو الشاعر الضرير أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى الحصرى القيروانى وهو ابن خالة أبى إسحاق الحصرى صاحب (زهر الآداب) . ذكر (ابن بسام) فى الذخيرة و (ابن بشكوال) فى الصلة : أن أبا الحسن طرأ على الأندلس فى منتصف المائة الخامسة من الهجرة ، فارآمن القيروان بعد خرابها فأقرأ الناس القرآن الكريم بقراءاته ، واتصل بملوك الطوائف ، وامتدح (المعتمد بن عباد) ، وتنقل ما بين قرطبة وإشبيلية وسبتة وطنجة ، ووافته المنية فى هذه المدينة سنة ٤٨٨ هـ .

مناسبة القصيدة :

مدح الشاعر ممدوحه أباعبد الرحمن محمداً فى قصيدة أوفت على مائتى بيت وجعل مطلعها مجموعة الأبيات التى اخترناها فى الغزل ، وحظى هذا الغزل بالشهرة من دون سائر القصيدة ، حتى عارضها أكثر من ثلاثين شاعراً ، ونسجوا على منوالها شعراً ، منه كثير فى الغزل ، وقليل فى غيره ، وعنى الكاتب (محي الدين رضا) بجمع هذه المعارضات فى كتيب خاص ، ومن أشهر هذه المعارضات : معارضة نجم الدين القمراوى ، وابن الأبار ، واسماعيل الزيادى ، وناصح الدين الأرجانى ، وشمس الحسينى الدمشقى ، وابن مليك الحموى .

وفى العصر الحديث عارضها : اسماعيل صبرى ، وولى الدين يكن ، والأمير ، نسيب أرسلان ، وأسعد الحلو ، وجميل صدقى الزهاوى ، وعبد الرحمن الرافعى ، وخير الدين الزركلى ، ومحمود رمزى نظيم ، وقيصر المعلوف ، ورشيد أيوب ،

والشيخ أبو الهدى الصيادى ، وبشارة الخورى ، ومسعود سماحة ، وأرشد راشد ، وأحمد عبيد ، وزينب عبد السلام ، وأمينة عباس .

كما عارضها الشاعر أحمد شوقى بقصيدته المشهورة :

مضناك جفاه مرقده وبكاه ورحم عوده

النص :

ياليل الصب متى غده؟	أقيام الساعة موعده؟
رقد السمار ، وأرقه	أسف للبين يردده
فبكاه النجم ورق له	مما يرعاه ويرصده
كلف بغزال ذى هيف	خوف الواشين يشرده
نصبت عيناى له شركا	فى النوم فعز تصيده
وكفى عجبا أنى قنص	للسرب . سبانى أغيده
صنم للفتنة منتصب	أهواه ولا أتعبده
صاح والخمر جنى فمه	سكران اللحظ معربده
ينضو من مقلته سيفا	وكأن نعاسا يغمده
فيريق دم العشاق به	والويل لمن يتقلده
كلا ، لاذنب لمن قتلت	عيناه ، ولم تقتل يده
يامن جحدت عيناه دمى	وعلى خديه تورده
خداك قد اعترفا بدمى	فعلام جفونك تجحده
إنى لأعيذك من قتلى	وأظنك لا تتعمده
بالله هب المشتاق كرى	فلعل خيالك يسعده
ماضرك لوداويت ضنى	صب ، يدنيك وتبعده

لم يبق هواك له رمقاً ... فليبك عليه عوده

وغداً يقضى أو بعد غد ... هل من نظر يتزوده؟

يا أهل الشوق لنا شرق ... بالدمـــع يفيض مورده

يهوى المشتاق لقاءكمو ... وصروف الدهر تبعده

ما أحلى الوصل وأعذبه ... لولا الأيام تنكده

بالبين وبالهجران . فيا ... لفؤادى كيف تجلده؟

المفردات :

ذى هيف : أهيف وهو الضامر البطن والخاصرة . الأغيد : الناعم .
جنى فه : ثمرته على سبيل التشبيه . ينضو : يسل . رمقا : بقية روح .
العود : جمع عائد وعائدة من العيادة وهى زيادة المريض .

تحليل :

أوضح الشاعر أنه يعيش فى عذاب وقلق ، بسبب مافرضته عليه محبوبته من البين والهجران والصد ، وهى محبوبة جديرة بأن يتعلق هويها ، ويرصد جمالها . ويسبح بفتنتها ، وإنه ليرجو أن تصله وتحنو عليه ، وإنه ليقنع منها بالقليل يتزود به فى أحلامه ورؤاه ، ويتداوى به من هيامه وضناه ، وإنه ليحرص على هذا القليل حتى آخر أيامه ، ويخاف نكد الزمان أن يحول بينه وبينها ، ويعجب الشاعر كيف يتجلد فؤاده ويقوى على فطام نفسه من هواها وهو مايزال بحاجة إلى التزود منه .

وتبدو الفكرة قريبة والمعانى طيعة . بيد أن الشاعر عرضها فى تصوير ناعم وإيقاع ناغم ، على ماترى ، فلقد أحس الشاعر ليله طويلا ، بسبب ماعرض

له فيه من ألوان القلق والهموم حتى خيل إليه أنه ليل لا آخر له فى دنياه وأن الساعة موعده .

ولم يكن له شاغل فى هذا الليل الطويل إلا ترديد الأسف لبين المحبوبة وفراقها، فهو مؤرق سهران يرعى النجم حتى رق النجم له من طول مادعاه ، ويبيت يرصد النجم فى مسيره من مشرق الحياة إلى مغربها ويبكى كلما أدرك غروب نجمه ، حتى بكى النجم لبكائه .

والحقيقة أن النجم لم يبد رقة وعطفاً ولا بكى لبكاء الشاعر ، ولكنما خلع الشاعر على الكون والطبيعة من داخل نفسه ، وحاول أن يحقق آماله وأمنياته لدى الكون والطبيعة ، فهو يظنهما يعطفان عليه ويدركان حاجته تخيلا منه . وهذه إحدى مميزات التصوير فى الشعر الأندلسى .

ووصف الشاعر محبوبته ، فعرضها علينا جميلة فاتنة ساحرة ، وتعرض للعلاقة القائمة بينهما فى أكثر من موضع :

(أ) شبهها بالغزال ، والمرأة تشبه بالغزال فى جمال العينين .

(ب) رآها هيفاء - والهيف ضمور البطن والخاصرة - وهذا من معايير الجمال الحسى عند العرب وغيرهم .

(ج) جعلها غيداء - أى ناعمة - والنعومة صفة متسعة تستهوى الرجل من أى زاوية قدرها .

(د) ارتفع بمحبوبته فوق مستوى الكمال البشرى حين شبهها بصنم الفتنة، وهذا خيال انحدر إليه من الثقافة اللاتينية . ولقد يحمد له أنه اكتفى بأن يعلن عن هوى صنمه وعشقه دون عبادته ، خوفا من أن يتهم بإلحاد أو كفر ، وهذا هو مدلول الاحتراس فى قوله (أهواه ولا أتعبده .

(هـ) رضاب هذه المحبوبة حلو لذيذ، يسكر من يتمززه، والعجيب أنها تمنح هذا الرضاب من يسكر به، وهي - صاحبته - لا يبدو عليها أثر السكر منه.

لكنها - من ناحية أخرى - ناعسة الطرف سكرى اللحظ، ففي لحظها فتور وضعف وانكسار عبر عنه بالسكر، يفعل مايشاء فى فؤاد محبها فعلا عبر عنه بالعربدة، ومن معانى العربدة إيذاء النديم فى حال سكره، ولهذا صارت لحاظها جارحة، تجرح القلب وتصيب الفؤاد بما تصوبه من سهام الفتنة، وشبهها بالسيف ينزع من غمده ليمارس وظيفته.

(و) والحبيبة متوردة الخدين ذات حيوية، ولكن هذه الحيوية قد اكتسبتها - فيما يزعم - من دمه الذى أراقته ثم جحدته.

ولقد أوصلته رحلة العشق - فيما يدعى - إلى المرحلة الأخيرة من نهاية العمر، فهو يتمنى أن تزوده فى رحلته المقبلة إلى حياة الآخرة بنظرة عطف. ثم ارتد إلى الحياة الدنيا وغلبه الشوق - وكان ينتظر أن تبل صاحبته صداه، ولكنها لم تفعل - فأغرق نفسه فى دموعه. وكان المفروض أن تغسل هذه الدموع همومه وأحزانه، وأن تضع حدا لقلق عواصفه ولعذابه، ولكنها لم تفده من ذلك شيئاً، فصار كمن شرق بها.

وفى النص عدة مواقف أسهمت فى جلاء المعانى والصور:

منها المقابلة بينه وبين الخليين، فهم سمروا ورقدوا واستراحوا، وهو يبيت مؤرقا مهموما باكيا مروعا.

ومنها التسوية بين المحبوبة والغزالة ثم محاولة التفرقة بينهما فى الشرود، فالغزالة يشردها الخوف من القانصين، والمحبوبة يفزعها أمر الوشاة.

ومنها بيان موقفه من لداتها وأترابها ، وموقفهن منه . فقد أعجبن به وطمعت كل واحدة فى أن يستجيب لنداء حبها ، ولكنه كان قد اختار وانتهى من اختياره .

وأحياناً يحلو للرجل أن يفتن بذاته ، ويركبه العجب ، ويظن نفسه مطلوباً محبوباً .

أما النظم فانساب فى القصيدة فى رقة وسهولة ويسر ، وتعاونت الألفاظ والجمل مع الوزن القصير الراقص فى تشكيل هذه الانسياب الناغم .

وكأنما كانت أنفاس الشاعر مبهورة ، فهو لا يقدر على إطالتها ، فهو يقطعها بهذا الوزن القصير فى سرعة وملاحقة وتتابع .

الروض عقيب المطر لابن خفاجة

الـكاتب :

هو أبو اسحاق إبراهيم بن أبى الفتح بن عبد الله بن خفاجة . ولد فى جزيرة (شقر) من أعمال بلنسية شرقى الأندلس سنة ٤٥٠ هـ . ونشأ فى شىء من الترف والنعمة ، فانصرف عن المديح أول أمره، وشغف بالطبيعة ، وجعلها مرتعا للهوه وصبوته ومنادمة أقرانه ، وأودع متعته هذه معظم شعره ، فجاء ديوانا للطبيعة الأندلسية كما أحسها وتخيل مرائيها .

ولـكن شعره مع ذلك لم يخل من أثر الثقافة المشرقية باعترافه هو فى مقدمة ديوانه أنه اقتفى طريقة الشريف الرضى ومهيار الديلمى وعبد المحسن الصورى ، فيما نسج من الشعر . ويساعدنا فى قدر هذه الثقافة قدرها الصحيح ما نجد فى شعره من العبارات التقليدية البدوية كالظعن والإقامة وأنفاس الخزامى ونسيم الصبا ، وإيثاره الجمال البدوى على الجمال الحضرى الذى تصنعه التطرية . هذا من ناحية ومن ناحيـــة أخرى اتسع ابن خفاجة فى استخدام المحسنات البديعية وتفنن فيها بعامة وفى الجناس والسجع بخاصة .

وفى أخريات أيامه مال إلى مدح المرابطين ، ثم تنسك آخر عمره حتى توفى سنة ٥٣٣ هـ عن أكثر من ٨٠ عاما . وابن خفاجة شاعر ناثر ؛ وهذه قطعة من نثره يصف فيها الروض عقيب المطر :

النص :

« ... ولما أكب الغمام إكبابا ، لم أجد منه إغباباً ، واتصل المطر اتصالا ، لم آلف منه انفصالا ، أذن الله للصحو أن يطلع صفحته ، وينشر صحيفته ، فقشعت الريح السحاب ، كما طوى السجل الكتاب ، وطفقت السماء تخلع جلبابها ، والشمس تميط نقابها ، وطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت ، وقد تحلت ، فذهبت فى لمة من الإخوان نستبق إلى الراحة ركضا ، ونطوى للتفرج أرضاً ، فلا نندفع إلا إلى غدير ، نمـــير ، قد استدارت منه فى كل قرارة ماء ، سحابة غماء ، وانساب ، فى تلعته حباب ، فترددنا بتلك الأباطح تتهادى تهـادى أغصانها ، وتتضاحك تضاحك أقحوانها ، وللنسيم ، أثناء ذلك المنظر الوسيم ، ترسل مشى ، على بساط وشى ، فإذا مر بغدير نسجه درعا ، وأحكمه صنعا ، وإن عثر بجدول شطب منه نصلا ، وأخلصه صقلا ، فلا ترى إلا بطاحا ، مملوءة سلاحا ، كأنما انهزمت هنالك كتائب فألقت بما لبسته من درع مصقول ، وسيف مسلول ، فاحتللنا قبة خضراء ، ممدودة أشطان الأغصان ، سندسية رواق الأوراق ، ومازلنا نلتحف منها ببرد ظل ظليل ، ونشتمل عليه برداء نسيم عليل ، ونجيل النظر فى نهر صقيل ، صافى لجين الماء ، كأنه مجرة سماء ، مؤتلق جوهر الحباب ، كأنه من ثغور الأحباب ... » .

المفردات :

أكب الغمام : سقط ، ويعنى سقوط المطر . إغبابا : أى تقطعا وأصل الإغباب الزيارة وقتا بعد وقت . لمة من الإخوان : جماعة منهم وأصل اللمة الصحبة فى السفر . ركضاً : جريا سريعا . نمير : صاف . سحابة غماء : لا فرجة فيها . تلعته : التلعة ما ارتفع من الأرض . حباب : بالفتح الفقاقيع تعلو وجه الماء وبالضم الحية . الأباطح : جمع أبطح وهو مسيل للماء فيه

حصى دقيق . تهادى : أى تمايل . أقحوانها : الأقحوان نبت طيب الرائحة له نور أبيض . ترسل مشى : أى مشى فيه مهل وهوادة . بساط وشى : أى بساط موشى بالنقوش . نسجه درعا : أى أن النسيم يجعد صفحة الماء فيجعلها أشبه بحلق الدرع المنسوج . شطب منه نصلا : أصل الشطب أن يجعل الصانع في السيف حزوزاً غائرة على طوله ، والمراد تشبيه الجدول بالسيف المشطوب . أشطان الأغصان : أى الأغصان الطويلة المشبهة للأشطان وهى الحبال . رواق الأوراق : مقدمها وأصل الرواق مقدم البيت والدار . لجين الماء : اللجين الفضة ، يشبه الماء بها بأسلوب التشبيه البليغ . مجرة السماء : منطقة فى السماء ذات نجوم كثر لا يميزها البصر لبعدها السحيق فيراها بقعة بيضاء ، جوهر الحباب : الجوهر الدر والحباب الفقاقيع ، يشبهها بالدر والجوهر .

هذا المنظر :

ها أنت ذا تتعرف بنفسك إلى هذا الروض الجميل ، من خلال هذا العرض الجميل ، يصفه لك ابن خفاجة بأسلوبه الخاص ، ويتناول الوصف مظهر الجمال ومرآه ، كما يتناول جانبــاً من أثره فى نفوس المرتاضين ، وحركتهم للاستمتاع به والرياضة فيه ، وقد شمل الوصف : الأرض وزينتها ، والسماء وصفاءها ، والمياه ورقتها ، والنسمات وحركتها ، وكاد ينحصر اهتمامه بما أعقب المطر من اعتدال الطبيعة ، وزخرف الأرض ، وصلاحها للمتعة والتفرج والانبساط ، وهنا سبح خياله فيما يشهده سبحاً ، واتسعت أمامه الصور والمرائى ، فتخيل النسيم صانع أسلحة فوق سطح الماء ، وتخيل الأسلحة فى معركة حربية استقلالية ، وتخيل الأرض الظليلة رواقا ممدوداً ومرادقا منصوبا ، وتخيل الماء لجينا ، والنهر فى الأرض مجرة سماء . . الخ .

ومن البين الواضح أن هذه الأوصاف مشحونة بالتشابيه والاستعارات ، وأن جل هذه التشابيه والاستعارات من النوع التقريرى المأثور ، وهذا من أثر الثقافة المشرقية التى تمثلها ابن خفاجة فى شعره ونثره .

ومن البين أيضا أن الزينة اللفظية طاوعت قلم ابن خفاجة ، فالجناس كثير ، والطباق ومراعاة النظير كلاهما موجود ، والسجع فى كل جملة بجاوب ، والكلمات المسجوعة مترددة مابين التوازن ومابين الطول والقصر أو القصر والطول.

وفى القطعة فى قوله : (فقشعت الريح السحاب كما طوى السجل الكتاب) تضمين الآية الكريمة (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب) — الأنبياء ١٠٤ ـ واستغلال ذات الجملة التشبيهية .

* * *

وهذه الأوصاف والتشابيه التى خلعها ابن خفاجة على الطبيعة تلح عليه إلحاحاً فلا ينفك منها فى شعره ونثره ، وهذا مثال من شعره فى صفة النهر مصداق لما نقوله :

لله نهر سال فى بطحــــاء ... أشهى ورودا من لمى الحسناء
متعطف مثل السوار كأنه ... ـ والزهر يكنفه ـ مجر سماء
قد رق حتى ظن قرصا مفرغا ... من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها ... هدب تحف بمقلة زرقاء
ولطالما عاطيت فيه مدامة ... صفراء تخضب أيدى الندماء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ... ذهب الأصيل على لجين المـــاء
والماء أسرع جريه متحدراً ... متلويا كالحية الرقطاء

فالنهر هنا وهناك بحر سماء ، والنهر هنا قد رق وهناك نهر صقيل ، والنهر هنا يجرى فى بردة خضراء وهناك لدى قبة خضراء . وهنا تحف به الغصون وهناك الأغصان ممدودة كالأشطان ، وهنا الريح تعبث بالغصون وهناك للنسيم ترسل مشى ، والماء هنا أسرع فى جريه متحدراً متلوياً كالحية الرقطاء وهناك انساب كالحباب ، فلا تكاد — عند الموازنة — تعطى أياً من شعره ونثره فضلا على الآخر .

آخر نبا من الأندلس للرندى

الشاعر :

هو أبو البقاء صالح بن شريف الرندى ، من شعراء القرن السابع للهجرة .

مناسبة القصيدة .

عاصر الشاعر أحداث الأندلس ، التى سقطت فيها المدن الأندلسية واحدة بعد أخرى فى أيدى المسيحيين . وحين استولوا فى سنة ٦٤٥ هـ على (أشبيلية) أنشأ الشاعر هذه القصيدة ، وفيها يذكرها باسم (حمص) ، ويبكيها ويبكى معها مدنا أخرى تساقطت من قريب فى أيدى العدو ، مثل : بلنسية ومرسية ، وشاطبة ، وجيان ، وقرطبة .

وروى الناس القصيدة ، وتداولوها فيما بينهم ، لأنها تمس عاطفتهم الدينية ، وكانوا إذا أصابهم مكروه تمثلوا بها ، بل لقد زادوها أبياتا ، كما فعل السيد يحيى القرطبى ، زاد فيها عشرين بيتاً ، وقدم وأخر فى بعض أبياتها وغير وبدل فى بعض ألفاظها(١). ودليلنا على الزيادة حديثه فيها عن سقوط (غرناطة) وغيرها من المدن التى ثبت تاريخياً أن سقوطها إنما حدث فى حقبة لاحقة . قال عن غرناطة :

وأين غرناطة دار الجهاد ، وكم أسدبها وهم فى الحرب عقبان
وأين حمراؤها العليا وزخرفها كأنها من جنان الخلد عدنان

وغرناطة قد بقيت فى يد بنى الأحمر ملوكها ، حتى سقطت فى أيدى المسيحيين سنة ٨٩٨ هـ بعد قرنين ونصف القرن من سقوط إشبيلية .

---

(١) انظر كتاب (ريحانة الألبا) للشهاب الخفاجى حـ ١ ص ٣٧٠ تحقيق عبد الفتاح الحلو ـ مطبعة عيسى البابى الحلبى .

النص :

لكل شىء إذا ماتم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان
هى الأمور كما شاهدتها : دول   من سره زمن ساءته أزمان
وهذه الدار لاتبقى على أحد   ولا يدوم على حال لها شان
يمزق الدهر حتما كل سابغة   إذا نبت مشرفيات وخرصان(١)
وينتضى كل سيف للفناء ولو   كان ابن ذى يزن والغمد غمدان(٢)
أين الملوك ذوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليل وتيجان؟
وأين ماشاده (شداد) فى (إرم)
وأين ماساسه فى الفرس «ساسان» ؟
وأين ماحازه (قارون) من ذهب
وأين (عاد) و (شداد) و (قحطان) ؟
أتى على الكل أمر لا مرد له   حتى قضوا فكأن القوم ما كانوا
وصار ما كان من ملك ومن ملك   كما حكى عن خيال الطيف وسنان
دار الزمان على (دارا) وقاتله   وأم (كسرى) فما آواه (إيوان)
كأنما الصعب لم يسهل له سبب   يوما ولم يملك الدنيا (سليمان)
فجائع الدهر أنواع منوعة   وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلها   وما لما حل بالإسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاء له   هوى له (أحد) وانهد (ثهلان)(٣)
أصابها العين فى الإسلام فارتزأت   حتى خلت منه أقطار وبلدان
فاسأل (بلنسية) ماشأن (مرسية)   وأين (شاطبة) أم أين (جيان)؟

---

(١) المشرفيات: السيوف نسبة إلى مشارف الشام والخرصان (بالضم): الرماح واحدها خرص مثلثا ، أو الخرصان (بالكسر) الرماح باسم قرية بالبحرين مشهورة ببيع الرماح ، ونبوها كلالها وتقصيرها .

(٢) غمدان : قصر مشهور باليمن أيام سيف بن ذى يزن ،

(٣) احد وثهلان : جبلان بشبه الجزيرة العربية .

وأين (قرطبة) دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شان؟
وأين (حمص) وماتحويه من نزه ... ونهرها العذاب فياض وملآن(١)؟
قواعد كن أركان البلاد، فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان؟
تبكي الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الإلف هيمان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس، ما ... فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة ... حتى المنابر ترثي وهي عيدان

يا غافلا وله في الدهر موعظة ... إن كنت في سنة فالدهر يقظان
وماشيا مرحاً يلهيه موطنه، ... أبعد (حمص) تغر المرء أوطان(١)؟
تلك المصيبة أنست ماتقدمها، ... وما لها مع طول الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيوف الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة، ... لهم بأوطانهم عز وسلطان
أعندكم نبأ من أهل (أندلس) ... فقد سرى بحديث القوم ركبان؟
كم يستغيث صناديد الرجال وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان؟
ماذا التقاطع في الإسلام بينكمو ... وأنتمو — ياعباد الله — إخوان؟
ألا نفوس أبيات لها همم ... أما على الخير أنصار وأعوان؟
يامن لذلة قوم بعد عزهمو ... أحال حالهمو جور وطغيان
بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدان

---

(١) حمص: اسم لاشبيلية

فلو تراهم حيارى لادليل لهم · عليهمو من ثياب الذل ألوان

ولو رأيت بكاهم عند بيعهمو · لهالك الأمر، واستهوتك أحزان

يارب أم وطفل حيل بينهما · كما تفرق أرواح وأبدان

وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت · كأنما هى ياقوت ومرجان

يقودها العلج عند السبي مكرهة · والعين باكية والقلب حيران(١)

لمثل هذا يذوب القلب من كمد · إن كان فى القلب إسلام وإيمان

تحليل :

نفث الشاعر فى هذه القصيدة أساه وحسرته وألمه عندما وقع معظم الأندلس فى أيدى النصارى ، وجعلوا يفتنون أهلها المسلمين عن دينهم ويذيقونهم ذل العبودية ويضطرونهم إلى هجرتها والرحيل عنها .

وتضمنت القصيدة — على طولها — عدة أفكار أهمها :

١ — التسليم بأن كل شيء فى الوجود لايدوم ولا يبقى ، فإن الدهر كفيل بفناء كل شيء وهلاكه ، فهو لاينفلت منه ولو كان فى نظر الناس قويا لايغلب ، ولو تحصن من الدهر واستند إلى أقوى القوى الدنيوية .

٢ — ضرب الشاعر عدة أمثلة من التاريخ ومن مختلف الأمم والشعوب للعظة والاعتبار ، وأذكر نفسه أو أذكر غيره بفناء سيف بن ذى يزن الملك اليمنى المشهور لم يمنعه قصره (غمدان) ، وهلاك شداد ملك (إرم ذات العماد) ، وساسان إمبراطور الفرس ، وقارون لم يفده ماله وما كنز ، وغير أولئك دار عليهم الزمان وخلى بينهم وبين ما كانوا يتمتعون به من الثروة والجاه والعز والسلطان .

---

(١) العلج : الرجل من كفار العجم .

٣ — تحدث عن ضياع الإسلام من هذه الديار وتبدل الحال فيها وتحولها إلى النصرانية التى أسرعت إلى تغيير المعالم وتشويه الحضارة التى أرسى المسلمون أساسها .

٤ — توجه بالخطاب إلى المسلمين خارج هذه الديار ، وهو يشير إلى غفلتهم عن الخطر الماحق والشر المستطير الذى ألم بالإسلام والمسلمين فى الأندلس ، وألمح إلى ماتقتضيه الأخوة من واجب الإغاثة والاعانة والنجدة.

٥ — وصف الذل الذى أصاب المسلمين ، وتحدث عن العبودية التى دفعوا إليها ، وتناول ما أصابهم من هوان الأسر ، ومن التفرقة بين الطفل وأمه ، فتمزقت الأسر ، وتشتت الشمل ، وضاع الأمل فى الاجتماع واستعادة المجد ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وطغت على الشاعر عاطفة الألم والحزن يغلفها بالبكاء لضياع الإسلام وضياع البلاد نفسها ، ولكن نغمة الأسى لضياع الاسلام كانت أعلى فى القصيدة من حديثه عن ضياع البلاد ، وليس من شك أن العاطفة نحو الأفكار والمبادىء والمعتقدات أقوى من العاطفة نحو الماديات والأمور المجسدة ، واقرأ الأبيات (تبكى الحنيفية البيضاء ..) لتدرك مقدار تلك العاطفة .

وفى بيته :

يامن لذلة قوم بعد عزهمو أحال حالهمو جور وطغيان

إشارة صريحة إلى أن ما أصاب الأندلس وأهلها من التعاسة والهوان سببه الجور والطغيان ، ويمكن أن يقال : إنه جور النصارى وطغيانهم على مقدرات هذه البلاد ، ويقال : إنه جور المسلمين وطغيانهم على مقدراتهم هم لأنهم استناموا إلى التفكك ، وانخذلوا ، وشغلوا بالملذات والملاهى ، وغفلوا عن مجاهدة عدوهم ، فقد جاروا إذن وطغوا على أنفسهم بأن بدلوا نعمة الله كفراً

وأحلوا قومهم دار البوار ، ولم يبقوا على عقيدتهم التى فى أفئدتهم ؛ إذ لم يصونوها، فمكنوا لعدوهم من أنفسهم ورقابهم .

والشاعر فى حديثه إلى المسلمين خارج البلاد ينحو نحو الأمل فى أن يهبوا للواجب المقدس لإنقاذ الإسلام المنهار فى هذه الديار ، وفى هذا الحديث أيضاً كثير من اللوم والتقريع لتقاعسهم وغفلتهم عن الخطر الكبير الذى قد يصيب الإسلام كله ، وفى إشارته إلى أن هؤلاء يركبون عتاق الخيل ويحملون السيوف الهندية المرهفة مغمز ، فكأنه يقول : الأولى أن توجهوا هذه الخيل وهذه السيوف إلى حرب العدو بدلا من اتخاذها للسباق والوجاهة .

وفى بيته :

كم يستغيث صناديد الرجال وهم   قتلى وأسرى فما يهتز إنسان

إخبار عن كثرة الاستغاثة وأنها صادرة عن الأبطال الذين هم بطبيعتهم أبعد ما يكونون عن طلب العون ، ولقد تمثل القتل والأسر لأعينهم أمراً واقعاً فيهم ، فهم من خوف الوقوع فيه يستغيثون ، وإذا كان الأمر كذلك فما بالنا بالضعاف الذين لا حول لهم ولا طول، ولا يملكون عن أنفسهم دفعاً .

وبلغت المرارة غايتها بنهاية القصيدة ، حين جعل الشاعر الفجيعة تذيب القلوب كمدا والنفوس أسى وحسرة ، ولكن القلوب ـ قلوب المسلمين الذين لم يتحركوا للنجدة ـ تخلو ـ والعياذ بالله ـ من الإسلام والإيمان .

والشاعر موزع العاطفة ، يعيش قلقا ، فهو لا يستقر على أمر ، فهو فى أول القصيدة يتسلى عن مصيبة الأندلس بأحداث التاريخ ، ثم يقول : (وما لما حل بالإسلام سلوان) ،(دهى الجزيرة أمر لا عزاء له) ، (تلك المصيبة أنست ما تقدمها) . وربما كان الشاعر ينشد التسليم أول الأمر فلما

أدرك أن المحنة محنة فى الدين لم يستطع أن يستسيغ السلوى والعزاء ، وربما جاز لنا أن نقول : إنه أنشأ القصيدة على عدة مراحل .

وأسلوب القصيدة فى جملته سهل واضح لا تكلف فيه ولا تقصير ، ويكاد يكون فطرياً . وما فيها من الخيال والتصوير اعتمد على التشبيه والاستعارة فى قالب تقريرى . ولم تخل أبياتها من البديع بالرغم من أن الحزن يصرف المرء عن التفكير فى التحسين والتزويق ، مما يدل على أن تعاطى البديع قد صار جزءاً من صناعة الأدب عند الأندلسيين .

بعد التحية والسلام لابن العديم

الشاعر :

هو عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة المعروف بابن العديم .

تلقى العلم عن أبيه وأشياخ وقته ، فى دمشق وحلب والقدس وفى الحجاز والعراق ، ونبه فى الحديث والفتوى ، والتاريخ ، والترسل ، والخط .

وله عدة كتب : منها بغية الطلب فى تاريخ حلب ، ومختصره زبدة الحلب، وكتاب الوسيلة إلى الحبيب ، وكتاب رفع الظلم والتجرى عن أبى العلاء المعرى ، وكتاب الدرارى فى ذكر الذرارى .

وكواحد من أفراد أسرته تولى القضاء فى بلاد الشام .

وتوفى سنة ٦٦٦ هـ .

مناسبة الشعر .

استبد بالشاعر شوقه إلى والده فكتب إليه هذا الشعر .

النص :

هذا كتابى إلى من غاب عن نظرى — وشخصه فى سويدا القلب والبصر

ولا يمن بطيف منه يطرقنى — عند المنام ويأتينى ء تدر

ولا كتاب له يأتى فأسمع من — أنبائه عنه فيه أطيب الخبر

حتى الشمال التى تسرى على حلب — ضنت علىّ فلم تخطر ولم تسر

أخصه بتحياتى ، وأخبره — أنى سئمت من الترحال والسفر

أبيت أرعى نجوم الليل مكتئبا — مفكراً فى الذى ألقى إلى السحر

وليس لى أرب فى غير رؤيته — وذاك عندى أقصى السؤل والوطر

تحليـــل :

هذه رسالة لاتتميز من النثر إلا أنها منظومة،كتبها الشاعر إلى والده قاضى القضاة فى حلب، يشتاق إليه، وإلى رؤيته، ويعتب عليه فيها عتبا رفيقا، مهد له بأن الوالد أهمل ولده وقتاً ، فلم يسع إلى رؤيته ، ولم يكاتبه .

واعتمد الشاعر ـ للدلالة على شوقه واهتمامه ـ صور امطروقة، منها استحضار الطيف، واستكتاب الكتاب، واستقبال النسيم من جهة الأحبة، والأرق .

ووقع الشاعر ـ فى البيت الثانى ـ فى خطأ فكرى ، فهو يطلب من محبوبه أن يمن بطيفه ليطرقه لدى المنام ، وليس لصاحب الطيف إرادة فى توجيه طيفه، وإنما الإرادة للمحب الذى يستحضر طيف المحبوب ، بيد أن الشاعر قصد انصراف المحبوب عنه. ومثل ذلك ما أشار إليه فى البيت الرابع أن ريح الشمال لاتأتيه من « حلب » حيث يقيم المحبوب ، ومسيرة الريح لاتتعلق بإرادته ولا بإرادة المحب، بيد أن الشاعر المحب جعل الريح ضنينة. فقصد إلى أن يرمز بأن المحبوب لايبعث إليه بالرسائل أو أنه لايذكره .

وصورة رعى النجوم ـ دلالة على الأرق ـ معروفة مكرورة، والشاعر بات يرقب النجوم إلى وقت السحر ، وهنا خانه التوفيق فى إنهاء أرقه عند هذا الوقت، وكان ينبغى أن يمتد به الأرق إلى مابعد السحر، ولكن القافية والنثرية كلتيهما أملتا على الشاعر لفظ (السحر) فى هذا البيت، كما أملتا عليه لفظ (السفر) فى البيت قبله فجاء مع لفظ (الترحال) إطالة لاجدوى فيها .

والشاعر ابن العديم قريب عهد بالدولة العباسية ، وشعره ـ كما رأيت ـ نثر منظوم ، مما ينذر بهبوط الشعر وانحداره .

الشاعر العفيف فى مغامرة

الشـــاعر :

هو عفيف الدين التلمسانى والد الشاب الظريف .

عاش حتى جاوز الثمانين . وتوفى سنة ٦٩٠ بعد ابنه بعامين .

اشتهر بالوجاهة ، وحسن العشرة ، واتهم برقة الدين ، وعرف فى أواخر أيامه بالميل إلى المتصوفة ، وترديد مصطلحاتهم .

النص :

إن كان قتلى فى الهوى يتعين	ياقاتلى فبسيف طرفك أهون
حسبى وحسبك أن تكون مدامعى	غسلى ، وفى ثوب السقام أكفن
عجباً لخدك وردة فى بانة	والورد فوق البان مالا يمكن
أدنته لى سنة الكرى فلثمته	حتى تبدل بالشقيق السوسن
ووردت كوثر ثغره فحسبتنى	فى جنة من وجنتيه أسكن
ماراعنى إلا بلال الخال فو	ق الخد فى صبح الجبين يؤذن
فنشرت من خوف الصباح ذؤابة	هى كالدجى ، وظللت فيها أكمن

تحليـــل :

هذا شاعر محب رضى عن مقتله فى الهوى ، فعين أداة قتله : طرف المحبوبة مصوبة نظراتها سهاماً إلى قلبه . واستمرأ هذه النهاية ، فتوهم أنه مغسول مكفن ، فبدموعه ـ وما أكثرها ـ يغسل ، وبسقامه الذى بدل لون جلدته يكفن . ثم عاد يتعلق بدنياه ومتاعه منها ، فنظر المحبوبة وردية الخد ، رشيقة القد ، ينال مأربه منها ـ حين يشرق طيفها فى منامه ـ لثما وتقبيلا ،

ولقد يدنو من الوجنات والخال الأسمر، ويتمكن من وجهها، ويلفهما شعرها الأسود، ليسترهما عن الأعين الناظرة .

ومحور الفكرة : نعت المحبوبة وتبيان ماتحدثه فى نفس محبها من الانبهار والإعجاب. وقد لون الشاعر هذه الفكرة فى أكثر من صورة. وليس هذا كله جديداً لاعلى المحبين ولاعلى الشعراء ، فكثيراً ما أفاضوا فى مقاتلهم بسهام اللحاظ ، وتحدثوا عن وفرة الدموع وشيوع السقام ، وإن كان الشاعر أبعد فى استخدام الدموع غسلا والسقام كفنا .

وتلاعب الشاعر بالصور التشبيهية فى أكثر من موضع، فهذا خد المحبوبة المشبه للوردة ـ وبالتبعية وجهها أو رأسها ـ فوق قامة مستوية رشيقة تشبه البانة. وهذا فى خياله وإن كان الواقع بعد مابين الوردة والبانة. لأن ثمرة البانة ـ إن أثمرت ـ لاتكون وردة . وجاء قوله : (والورد فوق البان مالا يمكن) عبارة عن هذا . وإن كانت كلمة «لايمكن» متنائية عن الذوق الشعرى .

وفى بيته : (أدنته لى سنة الكرى) أراد أن يعبر عن متعته بالطيف طول الليل، ولكنه لم يكن ينظر ليلا وإنما كان ينظر ـ أو يلثم ـ ثغراً أشبه بالشقيق ـ الورد الأحمر ـ فبدل منه النهار ـ المشبه للسوسن .

وفى بيته التالى: جعل ثغر المحبوبة كوثراً على التشبيه. فورده ، ثم دلف من الكوثر إلى الجنة ـ والكوثر نهر من أنهار الجنة ـ وتلاعب بالجنة والوجنتين تلاعبا لفظيا ، وهدفه أن يشير إلى التمكن من الوجنتين تمكن الساكن من مسكنه .

وفى البيت السادس: استحضر «بلالا» ورشحه بقوله فى آخر البيت «يؤذن» والذهن ينصرف إلى بلال مؤذن الرسول ، بيد أنه قصد من بلال وصفه وهو السواد، فالخال نكتة سوداء فى الخد، فهو أشبه ببلال الأسود، والعرب تستملح الخال، وتعده من أمارات الجمال ، ولاسيما فى الوجه الصبيح ـ ومحبوبته بيضاء

الوجه بدليل تشبه الجبين بالصبح فى هذا البيت . على أن تشبيه الخال ببلال ليس جديداً ، فابن المعتز سابق إليه بقوله :

أسفر ضوء الصبح من وجهه   فقام خال الخد فيه بلال

وأخذه الحاجرى فقال :

أقام بلال الخال فى صحن خده   يراقب من لألاء غرته الفجرا

وهذا العفيف التلمسانى . . ومن بعده قال ابن نباتة المصرى :

وانظر إلى الخال فوق الثغر دون لمى   تجد بلالا يراعى الصبح فى السفر

وأخيراً يذكر الشاعر أنه خاف الصباح ـ أى النهار ـ أن يفضحه وأن يقطع متعته ، فنشر ذؤابة المحبوبة - المشبهة للدجى ـ واستتر فيها ، موهما نفسه أنه مستتر بحندس الليل .

وهذه مغامرة حالم ، أسهم خياله فى تشكيلها وتوجيهها .

حلاوة النصر لابن عبد الظاهر

الكاتب :

القاضى محي الدين بن عبد الظاهر ، واسمه عبد الله بن عبد الظاهر ابن نشوان بن عبد الظاهر بن نجدة .

تولى ديوان الإنشاء زمن الظاهر بيبرس والسلطان قلاوون، فنظمه تنظيماً خاصاً، ووضع كثيراً من مصطلحاته ، التى ظلت معمولا بها فى مصر والشام، حتى بعد وفاته فى سنة ٦٩٢هـ إلى الفتح العثمانى لمصر فى سنة ٩٢٢هـ.

والقاضى محي الدين من المتعصبين لطريقة القاضى الفاضل فى التزام السجع والكلف بالمحسنات البديعية بعامة والإغراق فى التورية والطباق ومراعاة النظير . والفرق بينهما هو الفرق بين شخصيتيهما ، فالقاضى الفاضل كان ذا موهبة فطرية مكنته من لفظه وصناعته ، أما من احتذوه فقد ألحوا على الصنعة إلحاحاً وتحيلوا على البديع .

وللقاضى محي الدين شعر فيه رقة وصنعة ، ولكنه لا يرقى إلى مستوى نثره ، مثل قوله :

بات جارى ودمع عينى جارى   فتحيرت بين جار وجارى
مفرد فى جماله إن تبدى   خجلت منه جملة الأقمار
فيه وجدى محقق ، وسلوى   وكلام العذول مثل الغبار

مناسبة الرسالة :

فتح السلطان المنصور قلاوون حصن « صافيتا » فى بلاد الأكراد ، فكتب القاضى عنه هذه الرسالة الديوانية إلى صاحب اليمن يبشره بهذا الفتح .

الرسالة :

« . . . فمن ذلك حصن الأكراد الذى تاه بعطفه على الممالك والحصون، وشمخ بأنفه عن أن تمتد إلى مثله يد الحرب الزبون، وغدا جاذباً بضبع الشام، وآخذاً بمخانق بلاد الإسلام وشللا فى يد البلاد، وشجا فى صدر العباد. تنقض من عشه صقور الأعداء الكاسرة، وترتاع من سطوتها قلوب الجيوش الطائرة، وتربض بأرباضه آساد تحمى تلك الآجام ، وتفوق من قسيه سهام تصمى مفوقات السهام . تعطيه الملوك الجزية عن يد وهم صاغرون ، ويصطفى كرام أموالهم وهم صابرون لامصابرون . كم شكت منه (حماة) فله الإنصاف . وكم خافته (معرة) ومامن معرة خاف . مازالت أيدى الممالك تمتد إلى الله بالدعاء عليه وتشكو من جور جواره تلك الحصون والصياصى، وتبكى بدمع نهرها من تأثير آثاره مع عصيانها وناهيك بدمع العاصى . حتى نبه الله ألحاظ سيوف الإسلام من جفونها ، ووفى الذمرة ماوجب من ديونها ، وذلك بأنا قصدنا بفسيح ربعه ، ونزلنا ونازلنا حمى صقعه ، وختمنا بنضالنا على قلبه وسمعه . . . »(١) .

المفردات :

تاه بعطفه : بمعنى افتخر بقوته ومنعته، وأصل العطف (بالكسر) الجنب. الحرب الزبون: الحرب التى يتدافع فيها المقاتلون لكثرتهم. ضبع الشام : يقصد ناحية الشام وأصل الضبع العضد. أرباضه : أى نواحيه . الآجام : جمع أجمة وهى الغابة . تفوق ومفوقات (كلاهما بصيغة المفعول): من فوق السهم (وكلاهما بتشديد الواو) جعل له فوقا (بضم الفاء) أى مكاناً يضع فيه الوتر عند الرمى. تصمى : تميت . الصياصى : الحصون المنيعة . العاصى: نهر من أنهار الشام.

---

(١) وهى رسالة طويلة نجتزىء منها بهذا القدر .

تحليـــل :

تحدث الكاتب عن حصن (صافيتا) فى بلاد الأكراد، فوصفه بالمناعة، وبأنه مكن أهله ـ بمناعته هذه ـ من مصادمة الملوك ، والتعدى عليهم ، حتى صار جواره مكروهاً . وهكذا كانت لهذا الحصن هذه المكانة حتى قيض الله للسلطان فتحه .

واعتمد الكاتب فى عرض هذه المعانى على الصورة التشبيهية كثيراً .

فالحصن يفخر بقوته ومناعته على سائر الحصون، ويشمخ بأنفه متطاولا ، ولا يجرؤ الأبطال أن يتدافعوا نحوه وينالوا منه ، وقد ظل قابضا على الشام مسيطراً عليه متحكما فى بلاد الإسلام حتى أصابها بالشلل وبدا فى صدور أهلها ـ لطول ما كتم أنفاسهم ـ كا شجا فى الحلوق . والحصن يضم بين جنباته ـ من الأعداء ـ أبطالا كالصقور وكالآساد ، وعدتهم سهام تصمى وتميت وتقضى على ماعداها من السهام المشرعة . والحصن يشبه ملكا كبير السطوة تخضع لسطوته الملوك ، وتقدم له الجزية ولا تدفعه عن تخير مايشاء من أموالهم . وهذه البلاد حوله تشكو جميعاً جوره وجواره برغم حصانتها ومناعتها ، وهذه (حماة) لم تحم نفسها منه، وهذه (المعرة) خافته وما خاف هو من المعرة . وأخيراً قدر لسيوف الإسلام أن تصحو من غفوتها وأن تسل جفونها .

* * *

ومن اليسير أن تتعرف على صنعة الكاتب .

فالسجع : استهلك الرسالة كلها ، حتى أن الكاتب تحيل لتحقيقه فى أكثر من موضع .

والجناس: تجده فى عدة مواضع : تربض بأرباضه، وصابرون لا مصابرون،

وجور جواره ، وحماة لم تحم نفسها ، والمعرة والمعرة ـ الأولى معرة النعمان والثانية مصدر بمعنى العار ، ونزلنا ونازلنا .

والتورية : فى (حماة) معناها القريب البلد المسماة بهذا الاسم، والبعيد الحماة أم الزوجة . وفى (معرة) الأولى المعنى القريب البلدة والبعيد العار . ولك أن تتصور أن العار يقع منه الخوف . وفى (العاصى) المعنى القريب النهر والبعيد العاصى ـ اسم فاعل من المعصية .

ومراعاة النظير : فى عبارته (شللا فى يد البلاد وشجا فى صدر العباد) فكل كلمة من هذه الكلمات الثلاث تستحضر نظيرتها . وكذلك الألحاظ والجفون ، وكذلك الحصون والصياصى وإن جاءت الصياصى أصلا لتكمل السجعة .

والتضمين : قوله : (تعطى الملوك الجزية عن يدوهم صاغرون) فضمن قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » ـ التوبة ٢٩ ـ وقوله (وختمنا بنصالنا على قلبه وسمعه) مضمن قوله تعالى «أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه » ـ الجاثية ٢٣ ـ

ولعلك ـ بعد أن وقفت على صنعة الكاتب ـ تأكد لديك أنه يحتذى طريقة القاضى الفاضل ، ويسرف فى الاحتذاء .

البوصيرى و «من أين لك هـــذا» ؟

الشاعر :

الإمام البوصيرى ، واسمه محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله بن صنهاج ابن هلال الصنهاجى (نسبة إلى قبيلة صنهاجة من عرب المغرب) الدلاصى (نسبة إلى دلاص بلد أبيه) البوصيرى (نسبة إلى بوصير بلد أمه) ، وكلا البلدين فى صعيـــد مصر الأدنى ، وربما نحتوا له من البلدين فقالوا : (الدلاصيرى) .

لازم هو وابن عطاء الله السكندرى شيخهما أبا العباس المرسى .

يقول ابن شاكر الكتبى - فى وفيات الوفيات - (كان البوصيرى يعانى صناعة الكتابة والتصرف وباشر الشرقية ببلبيس) ، ولعل مقصوده من الكتابة الحساب ومن التصرف ضبط الشئون ومن المباشرة رياسة الجهة . ومع ذلك شكا - وشعره شاهد عليه - من قلة الرزق وكثرة العيال .

وشغل فى أواخر عمره بالمدح النبوى ، حتى توفى سنة ٦٩٥ هـ .

وشعره فى هذا المديح النبوى جيد المعانى - بحسب مذهبه - وجيد الألفاظ ، وفيه كثير من الأقوال الحكيمة والمأثورة . وشعره فى مديح الناس ومجاملتهم أدنى من شعر المديح النبوى فى معانيه وألفاظه . وشعره فى الدعابة والشكاية أقرب إلى الإسفاف .

وفى شعره كله ظاهرة بينة ، وهى طول نفسه ، فالهمزية ٤٥٦ بيت ، والبردة ١٦٢ بيت ، وذخر المعاد ٢٠٦ بيت ، وأم النارين ٩٩ بيتا - وكلها فى المديح النبوى - وقصيدته فى مدح الأمير التركى (أيدمر) ٣١٠ بيت . وقصيدته فى تعزية أبى العباس المرسى عن شيخه أبى الحسن الشاذلى ١١٨ بيتاً

مناسبة القصيدة :

اطلع الشاعر من خلال عمله على سوءات العاملين والكتبة وسائر المباشرين فأنشأ قصيدة انتقادية ، حفظ الرواة منها هذه الأبيات .

القصيدة :

نقدت طوائف المستخدمينا ... فلم أر فيهمو رجلا أمينا
فقد عاشرتهم ولبثت فيهم ... مع التجريب من عمرى سنينا
فكتاب الشمال همو جميعاً ... فلا صحبت شمالهم اليمينا
فكم سرقوا الغلال وما عرفنا ... بهم ، فكأنما سرقوا العيونا
ولولا ذاك مالبسوا حريراً ... ولا شربوا خمور الأندرينا
ولا ربوا من الولدان مرداً ... كأغصان يملن وينحنينا
وقد طلعت لبعضهمو ذقون ... ولكن بعد ما حلقوا ذقونا
وأقلام الجماعة جائلات ... كأسياف بأيدى لاعبينا
وقد ساوفتهم حرفا بحرف ... وكل اسم يخطوا منه سينا
أمولاى الوزير غفلت عما ... يتم من اللئام الكاتبينا
تنسك معشر منهم ، وعدوا ... من الزهاد والمتورعينا
وقيل : لهم دعاء مستجاب ... وقد ملئوا من السحت البطونا
تنقهت القضاة نخان كل ... أمانته ، وسموه الأمينا
وما أخشى على أموال مصر ... سوى من معشر يتأولونا
يقول المسلمون : لنا حقوق ... بها ، ولنحن أولى الآخذينا
وقال القبط : نحن ملوك مصر ... وإن سواهمو هم غاصبونا
وحللت اليهود بحفظ سبت ... لهم مال الطوائف أجمعينا

وما (ابن قطيبة) إلا شريك ... لهم فى كل ما يتخطفونا
أغار على قرى (فاقوس) منه ... بجور يمنع النوم الجفونا
وصير عينها حملا ، ولكن ... لمنزلة ، وغلتها خزينا
وأصبح شغله تحصيل تبر ... وكانت راوه من قبل نونا
وقدمه الذين لهم وصول ... فتمم نقصه صلة (الذينا)
وفى دار الوكالة أى نهب ... فليتك لو نهبت الناهبينا
فقام بها يهودى خبيث ... يسوم المسلمين أذى وهونا
إذا ألقى بها موسى عصاه ... تلقفت القوافل والسفينا
وشاهدهم إذا اتهموا يؤدى ... عن الكل الشهادة واليمينا

المفردات :

لبثت فيهم : أقمت فيهم . الأندرين : من مصانع الخمور فى القديم وذكرها عمرو بن كلثوم فى مطلع معلقته . المردان والمرد : كلاهما جمع أمرد وهو الشاب طر شاربه ولم تنبت لحيته . ساوفتهم : يقصد عرفتهم عن كثب ، وأصل المساوفة المشامة والمسارة . السحت : الحرام وما خبث من المكاسب . عينها : من معانى العين التى تصلح هنا : الذهب ، والعتيد من المال ، والمال بعامة، والحاضر من كل شيء ، والمختار من كل شيء .

تحليل :

هذه صرخة انتقادية إصلاحية من الشاعر، كشف فيها عما رآه فى طوائف المستخدمين من الفساد والضلال ، إذ رماهم بكل نقيصة ، وأعفاهم من كل فضيلة ، ووسمهم بالغش ، وبالمراءاة بالعبادة ، وبالدجل ، وبخيانة الأمانة ، وباغتصاب الأموال. فسد الكبار فجاراهم من هم دونهم ، وبدافع « الوصولية » سول هؤلاء الدون للكبار أن ينهبوا ، فعم النهب والسلب ،

وتستروا جميعاً على المظالم ، واشترك المسلمون والقبط واليهود فى استغلال السلطة ، ولم يجدوا القضاة العدول ولا الشهود العدول .

ووقع الشاعر على عدة صور ، جنح كثير منها إلى التندر والسخرية ؛ فقد صار الكتبة من أهل الشمال — والشمال مثال فى الشؤم — « وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال • فى سموم وحميم • وظل من يحموم • لا بارد ولا كريم » .

وسراق الغلال يرتكبون جرائمهم دون أن يحس بهم أحد ، مع أن معاملة الغلال ونحوها مما لا يمكن إخفاؤه ؛ ولكنهم استخدموا شطارتهم فى إسرار جرائمهم ، فأشبهوا سراق الكحل من العيون ؛ وهذا مثل شعبي يضرب فى خفة اليد .

والمستخدمون كانوا فى فقر ومسغبة وحاجة وخنوع ، فتبدلوا منها رفاهية وغنى وجاها ، فلبسوا الحرير وشربوا الخمور ، واستخدموا الولدان المردان ، وأطلوا بذقونهم حين تشبهوا بالوجهاء والأعيان .

واستغلوا مهاراتهم الحسابية فى تزييف الحساب على الناس ، وتسلطوا بأقلامهم عليهم ، فنالوا منهم كما تنال السيوف فى أيدى السيافين المهرة ؛ على أن أرباب هذه الأقلام غير صالحين لما أنيط بهم ؛ يقول الشاعر :

لقد ساوفتهم حرفا بحرف وكل اسم يخطوا منه سينا

فهو لا يتهمهم جزافا ، وإنما يقول فيهم عن خبرة وتجربة واطلاع .

ومن المستخدمين من تنسك وتزهد وتظاهر بالتقوى ، مع أنهم قد ملئوا بطونهم سحتا وحراما ومكاسب خبيثة .

حتى القضاة — فى سبيل الوقوع على ما بأيدى الناس — تشبهوا بالفقهاء فى الفتوى والاجتهاد . ويقصد الشاعر أن القضاة استغلوا اسم الدين لصالحهم فتأولوا النصوص وخانوا ما بين أيديهم من أمانة القضاء ، ربما لينتفعوا ، وربما ليجروا إلى وجهاء المستخدمين المنافع .

وتبارت الطوائف فى استغلال النفوذ ومصادرة الأموال ، وكل طائفة تبرهن على حقها فى الانفراد بالتصرف . فالمسلمون يدعون أنهم السادة وأن ما يأخذونه يأخذونه بحق السيادة ، والقبط يسترجعون دعواهم أنهم أهل مصر القديمة قبل أن يفتحها العرب ، واليهود يستحلون أموال الطوائف كلها ماداموا يحفظون حرمة يوم السبت ولا يعملون فيه .

وهذا كبيرهم (ابن قطبية) المباشر فى جهة (فاقوس) يتغاضى عن حساب المستخدمين ، فصار شريكا لهم فى الجريمة ، وأقض مضاجع القوم ، وما يهمه إلا تحول الأموال والغلال إلى خزائنه ومخازنه ، وأن يشتغل بتحصيل التبر (رمزاً إلى ثروته الطارئة) وينسى أنه منذ قريب كان يمتهن العمل فى التبن (رمزاً إلى ضعة ماضيه) .

وفى قول الشاعر : (فليتك لو نهبت الناهبينا) أمنية أن يتولى الوزير - الذى توجه إليه بالخطاب فى البيت العاشر - محاسبة أولئك الناهبين ، وأن يستعيد ماحصلوه من المال بطريق غير شرعى . وعبر الشاعر بالنهب عن استعادة المال مشاكلة لصنيع الناهبين من النهب .

أو لعل الشاعر يشير إلى أن الأسلوب الذى يصلح للمحاسبة هو أسلوب القوة والبطش والتسلط والقهر ، والجزاء من جنس العمل ، على أن إدخال الفعل (نهبت) فى نطاق التمنى بليت ولو يرشح الفعل للاستقبال ، فضلا عما يتضمنه من التجدد والموالاة ، فكلما حصل منهم نهب حصل منه استعادة لما نهبوه ، حتى تستقيم الأمور ، ويعتدل النظام .

مناظرة الزنبق والورد لابن سرايا

الشاعر :

صفى الدين الحلى : عبد العزيز بن سرايا بن على بن أبى القاسم بن أحمد ابن نصر بن أبى العز بن سرايا الطائى الحلى .

ولد فى (الحلة) من مدن الفرات سنة ٦٧٧ هـ وجاء إلى مصر سنة ٢٦ هـ وأقام فيها مدة، واتصل بالقاضى علاء الدين بن الأثير كاتب السر، وبالسلطان الناصر قلاوون ، ومدحهما ، وبعد أن شاع ذكره رحل إلى بغداد . وتوفى عام ٧٥٠ هـ

له ديوان شعر كبير يربو على عشرة آلاف بيت . وهو يعد من صناع الشعر ومن نوعوا فى الأغراض وفى الأوزان . ويتفاوت شعره بين الرقة والفخامة بحسب موضوعه . فمن الرقة قوله فى الربيع من قصيدة طويلة على على هذا النسق :

ورد الربيع ، فمرحبا بوروده ... وبنور بهجته ، ونور وروده

وبحسن منظره ، وطيب نسيمه ... وأنيق ملبسه . ووشى بروده

ومن الفخامة قوله فى الفخر من قصيدة ضافية :

لمن الشوازب كالنعام الجفل ... كسيت جلالا من غبار القسطل

يبرزن فى حلل العجاج عرائسا ... يحملن كل مدرع ومسربل (١)

---

(١) الشوازب : أى الخيل العظيمة . النعام الجفل : المسرعات . الجلال (بالكسر) جمع جل ماتلبسه الدابة صيانة لأرجلها . القسطل : الغبار المثار العجاج : الغبار . المدرع : لابس الدرع . المسربل : لابس السربال وهو القميص والدرع أيضا .

وقد فتن صفى الدين الحلى بفنون البديع ، وسلك لها سبيلين :

إحداهما : تأليفه فى البديع ، وله رسالتان : الأولى (الدر النفيس فى أجناس التجنيس) شرح فيها أنواع الجناس ومثل لها على نحو ما تجده فى كتب البديع . والرسالة الثانية (النتائج الالهية) وهى فى شرح قصيدة له بديعية فى مدح الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ تشتمل على ١٥١ نوع بديعى .

السبيل الأخرى : صناعته الشعر البديعى ـ إن صح أن نسمى بهذا الاسم الشعر الذى يلح فيه الشاعر على البديع إلحاحا . وهذا مثال منه تتفكه به ، التزم فيه تصغير الكلمات :

نقيط من مسيك فى وريد   خويلك ، أم وشيم فى خديد ؟
وذياك اللويمع فى الضحيا   وجيهك أم قمير فى سعيد ؟

من قصيدة تبلغ أربعة وعشرين بيتا ، التزم فيها تصغير الكلمات حتى سمجت(١) ، على أنه كان لديه الفراغ الذى ينفقه فى مثل هذه الألاعيب . ومن ألاعيبه أيضا تحبيره رسالتين : إحداهما حروفها كلها مهملة أى غير منقوطة ، والأخرى تسمى (التوءمية) كل لفظين متتاليين منها بينهما جناس على نحو ما ، كقوله : « عبده عنده وهم وهم وقد وفد مستجيرا مستخيرا حرمة حرمه ، وأحب واجب ثباته ببابه العالى الغالى ، بحيث يجيب نداه نداه ، فقد فقد أهله أهله ، ولذة ولده ، ورجاله ورحاله ، وخيله وحيله ، ونسبه ونشبه »

النص :

قد نشر الزنبق أعلامه   وقال : كل الزهر فى خدمتى
لو لم أكن فى الحسن سلطانه   ما رفعت من دونه رايتى

(١) راجعها فى ديوانه وفى فوات الوفيات ١ / ٥٨٣

فقهقه الورد به ساخراً وقال : ماتحذر من سطوتى ؟
وقال للسوسن : ماذا الذى يقوله الأشيب فى حضرتى ؟
فامتعض الزنبق من قوله وقال للأزهار : يارفقتى
يكون هذا الجيش بى محدقا ويضحك الورد على شيبتى ؟

تحليل :

أجرى الشاعر حواراً صامتاً بين الزنبق - ذى اللون الأبيض - والورد - ذى اللون الأحمر - وما أكثر ما كان الأدباء يتخيلون مثل هذا الحوار فيما عرف بالمناظرات الخيالية ، كالمناظرة بين السيف والقلم لابن نباتة المصرى ، وأخرى للقلقشندى ، وأخرى لابن برد الأصغر ، والمناظرة بين الورد والنرجس لأبى الحسن الماردينى ، والمناظرة بين القنديل والشمعدان لعبد الباقى اليمانى .

والمناظرات الأدبية فن أدبى يعتمد الجدال والنضال فى سبيل الغلب للرأى ، وهى امتداد لمنافرات الجاهليين ، ولمناقضات ومساجلات المتحزبين ومن إليهم فى العصر الإسلامى . ومنها ما تلبس بالخيال كالمناظرة التى عقدها الجاحظ فى كتابه (الحيوان) بين صاحب الكلب وصاحب الديك ، مما يحمل على الرأى بأن الجاحظ أول من أنشأ هذا اللون ، ثم أغرم به الأندلسيون فعقدوا المناظرات بين المدن .

وهذا اللون من الأدب ينشط فى عهود الترف ، إذ يجد المتفننون القول ذا سعة ، وينشط فى عهود الضعف حين يضيق بالناس مجال القول فيلجئون إليه كوسيلة للتنفيس عن ضيق صدورهم ، ويكون ما ظهر منه رموزاً لأمور مكتتمة .

والشاعر صفى الدين الحلى فى أبياته لم يقصد إلى الرمز . ولكنما وجد القول فى الزنبق والورد واسعا ، وما أيسر أن يطلع عليهما فى مصر أو فى

الشام فيرى الزنبق ناشراً أعلامه ، مزهواً بقامته ، فخوراً بتاجه الفضى ، وحوله الزهر من كل لون ، فهو بينها يتطاول ويشمخ ويتعالى ، وينافس الورد فى حمرته الرائقة المعجبة . والورد ـ بدوره ـ ينافسه المجد ويطاوله العرش على دولة الزهور .

وغير خاف عليك أن الشاعر أضفى على زهراته الحياة ، فجعل كلا من الزنبق والورد ناطقا ، متكلما ، يدرك الفخار والزهو ، ويحس الغيرة والألم ، ويتحيل الأسباب لما به يزهى ويفتخر ، وليرد عن جنسه عادية الخصومة .

وهذا التشخيص عرفه الأدب العربى ، منذ أنطق الشاعر الجاهلى الربع ، واستنطق الديار ، وساءلها عن الأهل والأحباب . وأجابته بلسان الحال ، وحادث بعيره ، وحادثه بعيره ، وحاور فرسه فشكا إليه بعبرة وتحمحم . وارتفع شأن هذا التشخيص فى البيئات الخصبة كالأندلس والشام ومصر ؛ لأن الطبيعة أوحت للأدباء بالنطق عن روعتها وجمالها وجلالها .

الشاعر العسيلي والدولاب

الشاعر :

نور الدين على بن محمد العسيلي المصرى .

معدود من فضلاء مصر وأعيانها وظرفائها فى القرن العاشر الهجرى .

تلقى العلم بالجامع الأزهر ، واشتغل بالتأليف والتدريس فنبه واشتهر ، ثم تقلب به الزمان ، فخالط الدهماء ، وغلبه الكيف مع تقدم العمر ، فصار إلى البؤس والشقاء والحرمان ، إلى أن انتشله الأستاذ أبو المواهب البكرى إمام المشيخة الصوفية ، فابتسمت الدنيا للعسيلي ، واستأنف حياة الدعة ، حتى توفى سنة ٩٩٤ هـ

النص :

ودولاب مررت به سحيرا   يئن كأنه الصب المروع
غدت أضلاعه تنعد سقما   ويفنى جسمه صب الدموع
يدور كمن أضل الإلف منه   وذاق تشتت الشمل الجميع
فقلت له : فديتك من كئيب   كساه الهم أثواب الخشوع
علام أراك تبكى كل وقت   وتهتف فى المنازل والربوع؟
فقد قربت لى حزناً بعيداً   ونحانى نواحك عن هجوعى
فقال : أما علمت بأن مثلى   خليق بالصبابة والولوع؟

فإنى كنت فى روض رفيعا ... أبيت من الأزاهر فى جموع
ولى فى المنتمى أعراق صدق ... أصول ، أنجبت أزكى فروع
إذا ما الورد قابلنى وحيا ... تضرج وجنتاه بالتجيع
ويصفر البهار لدى خوفا ... كصفرة عاشق صب مروع
وإن قصدت بنو الآداب ربعى ... أجود من النثار على الجميع
فقيضنى الشقاء إلى غبى ... شديد البطش جبار قطوع
فألقـــانى على رأسى صريعاً ... وأنت مشاهد حال الصريع
وقطع لطف أوصالى بعنف ... وصار يدق عظمى فى ضلوعى
فصرت أرى الذى قدكان دونى ... أناف ، وصار ذا شأن رفيع
على قلبى أدور عنا ، وأبكى ... عليه أسى ، كمقلات هلوع
فكيف ألام إن أدمنت نوحى ... وجدت بدمع الطرف الهموع؟

وحالى ناصح أبناء جنسى ... فلا تغتر بالجد المنيع
فإن الدهر كالصياد كيدا ... وأسباب القضا شرك الوقوع

المفردات :

الدولاب : الساقية . التجيع : الدم على سبيل التشبيه . البهار : كل نبت طيب الرائحة . النثار : بمعنى المنثور . قطوع : صيغة مبالغة للقاطع وهو الذى لا يصل رحمه . أناف : أشرف وزاد . المقلات : المرأة لا يعيش لها ولد وتسمى بها أيضاً التى تضع واحداً ثم لا تحمل . الطرف الهموع : الكثير الدموع .

تحليل :

ما أظن الشاعر قصد إلى وصف الدولاب قصداً ، والذى أظنه أنه اتخذ من الحديث إلى الدولاب وصنه وشيجة للقول فى غدر الزمان وتقلب الأيام وخداع الدهر وكذب الآمال .

والصورة التى عرضها الشاعر صورة رمزية لحياة الدعة والنعمة والزهو، بدلت شقوة وبؤسى وتطامنا .

وهذا هو الدولاب يدور – أو يدار – ويصدر عنه ذلك الصوت الرخيم الحزين الذى عهدناه ، فيتصوره الشاعر صبا عاشقا وهان روعه فقد الحبيب وهجرانه ، فانكفأ يبكى ولاجدوى من بكائه ، ويئن وليس له من أنينه غير اللوعة والحسرة وسوء الحال وضمور الأضلاع وسقام البدن .

ويسائل الشاعر الدولاب عما به ، راثيا له وعاطفا عليه ، والشاعر – إن أردت – يرثى لنفسه ويعطف على نفسه ويريد أن يتحدث عن نفسه ، ويسترجع الشاعر ذو الخيال ماضى الدولاب ، وإن شئت فهو يسترجع ماضى نفسه تمثيلا ، فيحكى الدولاب فى فتون وفتور أنه كان – قبل أن يمزق هذا التمزيق – ينتمى إلى شجر البستان ، ويتعالى على الورد والبهار ، ويلقى التحية من سائر الأشجار ، وأن ربعه كان محط الرحال ، وطالما قصده ذوو الأدب ، للاستلهام والطرب ، ولكنه وقع فى ملك رجل غبى باطش جبار قطوع ، سولت له نفسه الشريرة أن ينقله من صنعة الطبيعة إلى صنعة الإنسان ، فنجره دولابا ، فصار إلى حال الذلة والمهانة والخسف ، وفاته الذى قد كان فى سالف الزمان دونه ، فمن أجل هذا يبكى كما تبكى المقلات ولدها ، وتركبه الأحزان .

وكنا نود أن يقف الشاعر عند هذا الحد ، فلا ينشىء بيتيه الأخيرين ؛ لأنهما جاءا عظة صريحة ، والوعظ يتضاءل بالشعر إلى النثرية ، ويمنعه التحليق فى أجواز الخيال ، ويحرمه التهويم فى سماء الفن ، وإن أتاح له قدراً موفوراً من الانطلاق على دروب الهداية والرشاد .

صلوات البوريني فى محراب الحب

الشاعر :

بدر الدين البوريني - حسن بن محمد بن محمد بن حسن البوريني الشافعي .

ولد فى صفورية بالشام سنة ٩٦٣ هـ ، وتنقل بين القدس ودمشق وغيرهما ، مشتغلا بالتدريس والوعظ فى المدارس والمساجد . وعرف بالذكاء وطلاقة اللسان والفكاهة . توفى سنة ١٠٢٤ هـ فى دمشق .

النص :

إلهى - أدم حاكم الحب فينا	مطاعا ، وكل البرايا أسارى
إلهى - وزد ذلك القد لينا	وأشرب سقيم الجفون العقارا
إلهى - على ضعف أهل الهوى	أنل لحظه فى القلوب اقتدارا
إلهى - جنود الهوى أعطها	على قوة الصابرين انتصارا
إلهى - على الحب ألقيت صبرا	وعن حسنه ما أطقت اصطبارا
إلهى - أجبت رسول الهوى	ولم ألق منذ دعانى اختيارا
إلهى - رضيت بما ترتضى	بسرى ، وسلمت أمرى جهارا
إلهى - لى الجبر فيما ترى ،	وإن ظنه العاذلون انكسارا
إلهى - أعد ليل هجرانه	بصبح الوفا والتلاقى نهارا

تحليل :

يستديم الشاعر المحب الحب وسطوته وانتصاره ، ويستزيد المحبوب لين قد ، وفتور جفن ، واقتدار لحظ على إصابة القلوب . ويعلن راية

التسليم والانكسار مجبرا غير مختار ، وتتبدد أطماعه وتتلاشى رغائبه إلا من شيء واحد هو إنهاء الهجران واستئناف الوصال وعودة الرفاء .

وهذه الصور التى صب فيها الشاعر فكرته صور مطروقة ، وهذه التشابيه التى لونت معانيه تشابيه مسبوقة ، ولكن الإطار العام هو الذى يبدو طريفا ؛ ذلك أنه نقل الكلام من المناجاة إلى الغزل ، وهو أسلوب من أساليب الاحتذاء سموه (نقل الكلام من طريق إلى آخر) . والمناجاة معهودة فى الصلاة والدعاء والاستغفار والتوبة ، حولها الشاعر إلى الغزل ، فأطرب ، وأعجب .

الفهرست

بطولة عربية للمتنبى	٥
كلاب البشر للشريف الرضى	٤١
المقامة الشيرازية للحريرى	٤٧
لامية العجم للطغرائى	٦١
طارق على باب النصر	٨١
برغوث ابن شهيد فى الهيئة الاجتماعية	٨٥
ابن هانى فى وادى الغرام	٨٨
منطق اللحظة الراهنة لابن حزم	٩٤
شكوى مسجون لابن زيدون	٩٧
ياليل الصب للحصرى	١١٠
الروض عقيب المطر لابن خفاجة	١١٦
آخر نبأ من الأندلس للرندى	١٢١
بعد التحية والسلام لابن العديم	١٢٨
الشاعر الفصيف فى مغامرة	١٣٠
حلاوة النصر لابن عبد الظاهر	١٣٣
البوصيرى ومن أين لك هذا	١٣٧
مناظرة الزنبق والورد لابن مرايا	١٤٢
الشاعر العسيلى والدولاب	١٤٦
صلوات البورينى فى محراب الحب	١٤٩

رقم الإيداع بدار الكتب
٥٥١٦ / ١٩٨٠ م